فيها. قال أنس: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلاَّ في يد رجل»[١].

وقد روى البخاري في صحيحه قصة صلح الحديبة وفيه: «ثم إنَّ عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلاَّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له»[٢].

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أنَّ ذات النبي ﷺ مباركة وكذلك ما انفصل من شعره أو عرقه وآنيته وملابسه مما جعل الله فيه بركة وخيرًا كثيرًا.

٢ـ التبرك بذكر الله ومجالسة الصالحين: وهذا واضح من الكثير من الأدلة الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة، منها: مارواه البخاري في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم عزَّوجل وهوأعلم منهم ما يقول عبادي قالوا: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول هل رأوني قال: فيقولون لا والله ما رأوك، قال: كيف لو رأوني قال: يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك**

(١) رواه مسلم : (١٥/ ٨٢).
(٢) رواه البخاري : (٣/ ١٨٠).

تسبيحاً قال: يقول فما يسألوني قال: يسألونك الجنة قال: يقول وهل رأوها قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة قال: فمم يتعوذون قال: يقولون من النار قال: يقول: وهل رأوها قال: يقولون: لا والله ما رأوها قال: يقول : كيف لو رأوها قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال: يقول: ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لايشقى بهم جليسهم»[١] فقد دلَّ الحديث على بركة مجالس الذكر وأنها من أعظم أسباب نيل مغفرة الله، بل إن بركتها تتعدى إلى من جلس فيها وإن لم يكن من أهلها.

٣ـ التبرك بالصلاة والتعبد في المساجد بصفة عامة وفي المساجد الثلاثة وهي المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، وذلك لفضيلة الصلاة بها وتميزها عن غيرها، فقد ثبت في الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام» وفي مسند الإمام أحمد زيادة: «وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا»[٢] ولكن لايجوز التبرك بالتمسح بجدرانها أو أعمدتها أو أبوابها وأعتابها بحجة أنها أماكن مباركة لعدم ورود الدليل بذلك.

٤ـ التبرك بتناول بعض الأطعمة والأشربة والأدوية التي وردت

---

(١) رواه البخاري ح: (٦٤٠٨).

(٢) رواه البخاري ح: (١١٩٠)، ومسلم ح: (١٣٩٤)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: (٤/٥).

الأدلة بثبوت البركة فيها ومن ذلك:

أ ـ زيت الزيتون فقد قال قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌ﴾[١] وفي الحديث النبوي الشريف يقول عليه الصلاة والسلام: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة**»[٢].

ب ـ اللبن وشربه والإستزادة منه ففي الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله: «**من أطعمه الله طعامًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرًا منه ومن سقاه الله لبنًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم ما يجزي من الطعام والشراب إلَّا اللبن**»[٣]

ج ـ العسل وشربه والإستشفاء به فقد ورد الدليل بذلك في قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٤].

وفي الصحيح أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «إنَّ أخي استطلق بطنه فقال: اسقه عسلاً فسقاه ثم جاء فقال يارسول الله: قدسقيته عسلاً فلم يزده إلاَّ استطلاقًا قال: فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً قال: فسقاه ثم جاء فقال: يارسول الله إني سقيته فلم يزده إلاَّ استطلاقًا قال: فقال رسول الله ﷺ: «**صدق الله وكذب بطن**

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٣/ ٤٩٧)، وصححه الحاكم وقال: صحيح الإسناد: (٢/ ٣٩٨)، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن ماجه: (٣٣٢٢)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه: (٢/ ٢٣٣).

(٤) سورة النحل، الآية: ٦٩.

أخيك! اسقه عسلاً فسقاه فبرأ»[١].

د ـ ماء زمزم وقد ثبتت بركتها بالنص الصريح في قصة أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ حين سأله النبي ﷺ عن من كان يطعمه حين قدم إلى مكة المكرمة فقال: ما كان لي طعام إلاَّ ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع فقال: «**إنها مباركة إنها طعام طعم**»[٢].

القسم الثاني: التبرك الممنوع وهو أنواع:

١ـ التبرك بزيارة الآثار وبعض المواقع التاريخية كدار الأرقم بن الأرقم، وغار حراء، وغار ثور، وتقبيل أبواب وأعتاب وجدران نوافذ بعض المساجد؛ التماسًا للبركة، وهذا أمر مبتدع وممنوع، لأنَّ التبرك عبادة، والعبادة تفتقر إلى الدليل والمشروعية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] وهو غار بجبل ثور، يماني مكة لم يشرع لأمته السفر إليه زيارته والصلاة فيه والدعاء، ولا بنى رسول الله ﷺ مسجدًا غير المسجد الحرام، بل تلك المساجد كلها محدثة، مسجد المولد وغيره، ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى، ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعًا مستحبًا يثيب الله عليه لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك وأسرعهم إليه،

---

(١) رواه البخاري ح: (٥٦٨٤).

(٢) رواه مسلم ح: (٢٤٧٣).

ولكان علَّم أصحابه ذلك وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك، عُلِمَ أنه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة، فقد اتبع غير سبيلهم وشرع من الدين ما لم يأذن به الله»[1].

٢ـ التبرك ببعض الأزمنة التي لم يرد بشأنها دليل يقتضي ذلك كالاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج ويوم الهجرة ويوم بدر وغيره مما لم يشرعه الرسول ﷺ لأمته وإنما أحدثه أهل البدع والأهواء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا ـ مع اختلاف الناس في مولده ـ فإنَّ هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه، ولو كان خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف ـ رضي الله عنهم ـ أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإنَّ هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: ٢/٢٤٩.

حراصًا على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجي لهم به المثوبة، تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يُحَلِّي المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولايتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي، أو يصلي فيه قليلاً»[١].

٣ـ التبرك بذوات بعض الصالحين وآثارهم: التبرك بالذات البشرية مما اختص به النبي ﷺ فقد سبق أن أشرنا إلى أنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يتبركون بجسمه وعرقه وشعره وملابسه وأدواته وفضل وضوئه صلوات الله وسلامه عليه، ولا يجوز القياس على ذلك فإنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما كانوا يتبركون بآثار ولا فضلات أحد من الخلفاء أو غيرهم من العشرة المبشرين بالجنة، لأنَّ التبرك عبادة تتوقف على الدليل والاتباع لا على التقليد والابتداع ولو كان جائزًا لفعله الصحابة والتابعون.

يقول الإمام الشاطبي: «إنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فهو كان خليفته ولم يفعل به شيء من ذلك ولا عمر ـ رضي الله عنهما ـ وهو كان أفضل الأمة بعده ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أنَّ متبركًا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: (٢٩٥).

والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذن إجماع منهم على ترك الأشياء»[١].

وبالجملة فإنَّ التبرك عبادة، لا يجوز فعله إلاَّ بعد ثبوت الدليل عليه ومن فعله بغير دليل فقد وقع في البدعة وربما وقع في الشرك عياذًا بالله[٢].

---

(١) الاعتصام للشاطبي: (٨).

(٢) انظر: التبرك المشروع والممنوع للدكتور/ علي العلياني.

المبحث السادس
التوسل

وهو اتخاذ وسيلة إلى الله تعالى لإجابة الدعاء وتحقيق المطلوب وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع وهو ما كان بوسيلة ثبتت بها الأدلة وجاءت بها الشريعة وله أنواع:

١ـ التوسل إلى الله بأسمائه سبحانه إما على سبيل العموم كماجاء في حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وفيه قول النبي ﷺ: **«اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سمَّيت به نفسك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي»**[1].

وقد أمر الله سبحانه بدعائه بأسمائه الحسنى فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[2]. وإما على سبيل الخصوص وذلك بدعائه تعالى باسم خاص كأن يقول الداعي: «اللهم يا رحيم ارحمني أو اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» وهنا لابد أن يكون الاسم المتوسل به مناسبًا للدعاء فمن غير المناسب أن يقول الداعي:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (١/٣٩١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٩٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠٨.

«اللهم يا شديد العقاب اعف عني» ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حين طلب من النبي ﷺ أن يعلمه دعاءً يدعو به في صلاته فقال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[١].

٢ ـ التوسل إلى الله تعالى بصفاته إما على سبيل العموم، كأن يقول: الإنسان اللهم إني أسألك بصفاتك العلى، أو على سبيل الخصوص، كالذي ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شرما أجد وأحاذر**»[٢] فهذا توسل بصفة من صفات الله وهي عزته سبحانه.

٣ـ التوسل إلى الله بأفعاله سبحانه ومثاله حديث الصلاة على النبي ﷺ وفيه: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»[٣] فإنَّ صلاة الله على إبراهيم وعلى آل إبراهيم من أفعاله سبحانه والعبد يسأله عزَّوجل الذي منَّ بصلاته على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أن يمنَّ بصلاته على محمد وعلى آل محمد.

٤ـ التوسل إلى الله بالإيمان به وبرسوله كأن يقول: اللهم إني أسألك بإيماني بك وبرسولك أن تغفر لي، فهذا توسل شرعي وردت به الأدلة الكثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ

---

(١) رواه البخاري: (٨٣٤)، ومسلم ح: (٤٨٨).

(٢) رواه مسلم ح: (٢٢٠٢).

(٣) رواه البخاري ح: (٣٣٧٠).

رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[١] .

٥ـ التوسل إلى الله بحال الداعي وفقره واحتياجه كأن يقول: «اللهم إني أسألك وأنا الفقير إليك» ودليله قوله تعالى حكاية عن موسى ـ عليه السلام ـ حين سقى للمرأتين ثم ذهب إلى الظل وقال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[٢]، ومن ذلك قول زكريا ـ عليه السلام ـ ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾[٣] .

٦ ـ التوسل إلى الله بالطلب من الرجل الصالح الحيِّ أن يدعو الله له، ودليل ذلك ما كان يفعله الصحابة من سؤال النبي ﷺ في حياته أن يدعو الله لهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ كان يخطب الناس فاستقبل النبي ﷺ وقال: يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع النبي ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا ثلاث مرات**» قال أنس بن مالك: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فخرجت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فما نزل النبي ﷺ من منبره إلاَّ و المطر يتحادر من لحيته فبقي المطر ينزل أسبوعًا فجاء الرجل أو رجل آخر من الجمعة الثانية

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة القصص ، الآية: ٢٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤.

والنبي ﷺ يخطب فقال: يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله يمسكها عنا فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا وجعل يشير بيده فما يشير إلى ناحية إلاَّ انفرجت**»[(١)] ومن ذلك أيضًا أنَّ النبي ﷺ لما ذكر الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قام إليه عكاشة بن محصن فقال: يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: أنت منهم»[(٢)].

ولكن هذا النوع ينبغي أن يكون في حال حياة الداعي أما بعد وفاته فلا يجوز التوسل بدعائه لأنه قد مات وليس بإمكانه أن يدعو ولذا لما أجدب الناس في عهد عمر بن الخطاب لم يطلبوا من النبي ﷺ أن يستسقي بهم وإنما عدلوا عن ذلك إلى العباس عم رسول الله ﷺ وقال عمر: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا استسقينا بدعاء نبيك فتسقينا وإنا اليوم نسألك بعم بنبيك فاسقنا ثم قال: قم فاستسق، فقام العباس ودعا»[(٣)].

أما ما يروى عن العتبى أنَّ أعرابيًا جاء إلى قبر النبي ﷺ فقال: «السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[(٤)] وقد جئتك

---

(١) رواه البخاري ح: (١٠٢١)، ومسلم ح: (٧٩٨).
(٢) رواه البخاري ح: (٥٧٥٢)، ومسلم ح: (٢٢٠).
(٣) رواه البخاري ح: (١٠١٠).
(٤) سورة النساء ، الآية: ٦٤.

مستغفرًا مستشفعًا بك إلى ربي[١] فهذه القصة مكذوبة وغير صحيحة وليس في الآية دليل على ذلك لأنَّ الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ولم يقل: ﴿إذا ظلموا أنفسهم﴾ و«إذ» كما هو معروف ظرفية لحالة معينة تعالج مشكلة خاصة دلَّ عليها سبب نزول الآية في قوم تحاكموا أو أرادوا التحاكم إلى غير الله ورسوله.

٧ـ التوسل بالعمل الصالح وهوأن يذكر الإنسان بين يدي دعائه عملاً صالحًا قام به وهذا من أعظم أنواع التوسل المشروع ومثاله حديث الثلاثة الذين كانوا في سفر وآواهم المبيت إلى غار فلما دخلوه انطبقت عليهم صخرة كبيرة فأرادوا إزالتها فعجزوا فقال: بعضهم لبعض إنه لاينجيكم مما أنتم فيه إلاَّ الله فادعوه بصالح أعمالكم فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فأزال الله الصخرة وخرجوا يمشون»[٢].

القسم الثاني: التوسل الممنوع:

وهو التوسل إلى الله بما ليس عليه دليل شرعي من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وهو أنواع:

١ـ التوسل إلى الله بجاه شخص له مكانة ومنزلة وجاه عندالله كالتوسل بجاه النبي ﷺ بأن يقول السائل: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك» فهذا التوسل غير مشروع لعدم ورود الدليل به وبالرغم من أنَّ جاه رسول الله ﷺ أعظم جاه، ومنزلته أعظم منزلة إلاَّ أنَّ جاهه ومكانته صلوات الله وسلامه عليه، إنما تنفعه هو عندالله سبحانه، أما

---

(١) تمام القصة في تفسير ابن كثير: (١/ ٥١٩).

(٢) الحديث رواه البخاري: (٢٢٧٢)، ومسلم: (٢٧٤٣).

السائل فلا ينتفع إلاَّ بعمله هو وجهده وجاهه ومنزلته كأن يقول: «اللهم إني أسألك بإيماني برسولك واتباعي لسنته» فهذا توسل مشروع لأنه توسل بعمل العبد نفسه لا بعمل غيره».

٢ـ التوسل إلى الله بدعاء ميت فيطلب السائل من الميت أن يدعوالله له وهذا ضرب من السفه إذ أنَّ الميت قد حيل بينه وبين العمل وليس بامكانه أن يدعو لأحد ولهذا عدل الصحابة عن التوسل بدعائه صلوات الله وسلامه بعد وفاته إلى التوسل بدعاء الحي وهو العباس عم رسول الله ﷺ[1].

٣ـ التوسل بدعاء الأصنام والأولياء والأضرحة وهذا توسل شركي ممقوت وهو عين عمل أهل الشرك الذين كانوا يعبدون الأصنام ليتخذوا ذلك وسيلة إلى الله كما قال سبحانه: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ ﴾[2].

---

(١) رواه البخاري ح: (١٠١٠).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

المبحث السابع
السحر

هو عبارة عن عزائم ورقي أو تمتمات وكلام يتكلم به الساحر، وأدوية وتدخينات من أعمال الشياطين تؤثر في القلوب والأبدان بإذن الله الكوني القدري فيحصل بسببه المرض والقتل والتفريق بين الزوجين، وذلك عن طريق استعانة السحرة بالشياطين وتقديم شيء مما تحب من الذبح أو النذر مما هو شرك ويوقع في الشرك لاستخدام الشياطين والتقرب إليهم والتعلق بهم وادعائهم علم الغيب، وهو محرم بالكتاب والسنة يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[١]، وقد دلت الآية الكريمة على أنَّ السحر كفر وأنَّ السحر لا يؤثر بذاته نفعًا ولا ضرًّا وإنما يؤثر بإذن الله الكوني القدري، كما دلت الآية على أنَّ من يتعلم السحر إنما يتعلم مايضره ولا ينفعه وأنه ليس له عندالله حظ ولا نصيب وهذا من أعظم الوعيد الذي يوقع في الخسران المبين في

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢

الدنيا والآخرة.

أما من السنة المطهرة فقد أخبر النبي ﷺ أنَّ السحر من الموبقات أي المهلكات.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالو: وما هن يارسول الله قال: «**الإشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[١].

أما العلاج من السحر فعلى نوعين:

الأول: الوقاية منه قبل وقوعه وذلك بالتحصن بالأذكار والأدعية المأثورة، ومن ذلك قراءة آية الكرسي في الصباح والمساء، وعقيب كل صلاة مكتوبة وقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين عقب الصلوات المكتوبة أيضًا وقراءتها ثلاث مرات بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب، وقراءة خواتيم سورة البقرة كل ليلة والإكثار من ذكر الله عزَّوجل وقول أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق وقول: بسم الله الذي لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ.

الثاني: العلاج من السحر بعدوقوعه فيكون باللجوء إلى الله والتضرع إليه سبحانه بكشف الضر وإزالة البأس ثم استخدام الرقية الشرعية وهي قراءة آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين والفاتحة، وآيات السحر التي في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ

---

(١) رواه البخاري ح: (٢٧٦٧)، ومسلم ح: (٨٩).

مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾[١] والآيات التي في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٢] والآيات التي في سورة طه وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[٣] ومن أنفع الأدوية لإبطال السحر معرفة موضعه وإتلافه، أما علاجه بالذهاب إلى السحرة والكهنة وسؤالهم واستعمال توصياتهم بالذبح وغيره فهذا عمل محرم ورد النهي عنه والتحذير من الوقوع فيه.

ففي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة**»[٤].

وفي سنن أبي داود يقول عليه الصلاة والسلام: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد ﷺ**»[٥].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٧، ١١٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٧٩، ٨٢.

(٣) سورة طه، الآية: ٦٥، ٦٩.

(٤) رواه مسلم ح: (٢٢٣٠).

(٥) رواه أبوداود ح: (٣٩٠٤).

الباب السادس
البدعة وخطورتها على دين العبد

وفيه مباحث:

المبحث الأول
أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة

مدار سعادة الإنسان في الدارين وفوزه وفلاحه في الحياتين يعتمد ويتوقف على مدى اعتصامه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأنهما النوران اللذان يضيئان للإنسان طريقه وهو يعبر دروب الحياة ومجاهيلها، وعلماء أهل السنة والجماعة يقررون أنَّ الاعتصام بهما والعمل بهديهما واتباعهما في جميع قضايا الدين أصوله وفروعه، هو سبيل النجاة وطريق الفوز والفلاح وهذه بعض أقوالهم:

١ـ أقوال بعض الصحابة:

أـ عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: عليكم بالسبيل والسنة ـ يعني بالسبيل الكتاب الكريم ـ، فإنه ما على الأرض عبدٌ على السبيل والسنة وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله عزَّوجل فيعذبه الله، وما على الأرض عبدٌ على السبيل والسنة وذكره ـ يعني الرحمن ـ في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلاَّ كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحاتّ ـ أي تساقط عنها ورقها ـ إلاَّ حط عنه خطاياه كما تحاتّ عن تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا واقتصادًا أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم[١].

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي: (١٠).

ب ـ وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: لن تضل ما أخذت بالأثر[١].

٢ـ أقوال بعض التابعين:

أ ـ قال الإمام الزهري ـ رحمه الله ـ كان من مضى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضًا سريعًا فنعش العلم أي انتعاشه ورفعته، ثبات الدنيا والدين وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله[٢].

ب ـ قال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ حين كتب إلى بعض عماله: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره وإتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده فيما جرت به سنته وكفوا مؤونته[٣].

٣ـ أقوال بعض الأئمة ـ رحمهم الله ـ:

أ ـ قال سفيان بن سعيد الثوري: كان الفقهاء يقولون: لايستقيم قول إلاَّ بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلاَّ بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلاَّ بموافقة السنة[٤].

ب ـ قال الإمام أحمد بن حنبل في بعض رسائله: ثم بعد كتاب الله سنة النبي ﷺ والحديث عنه، وعن المهديين أصحاب النبي ﷺ واتباع السنة نجاة وهي التي نقلها أهل العلم كابرًا عن

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة: (١٠/ ٣٥٣).

(٢) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي: (٦٣٦).

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة: (١/ ٣٢١).

(٤) المرجع السابق: (١/ ٣٣٣).

كابر[1].

ج ـ قال قوَّام السنة الإمام الأصبهاني: كل من صح عنده شيء من أمر الرسول ﷺ أو نهيه صغيره وكبيره، بلا معارض له يعرفه من حديثه، أو ناسخ له، ثم قال: قال رسول الله ﷺ كذا، وأنا أقول بخلافه، فقد تكلم بعظيم، وإن كان ذلك الشيء مما لا يضل الرجل بتركه؛ لأنَّ أدنى معاندة للنبي ﷺ في شيء من أمره ونهيه عظيم، فمن قبِل عن النبي ﷺ، فإنما يقبل عن الله، ومن ردَّ فإنما يردُّ على الله، قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[2].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب ذلك بما يلي:

١ـ من القرآن الكريم:

أـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[3] قال ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس، وأمركم بالوفاء به، هو صراطه يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، مستقيمًا لا اعوجاج به عن الحق، فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه، ولا تسلكوا طريقًا سواه، ولا تركبوا منهجًا غيره، ولا تبغوا دينًا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فإنها بدع وضلالات». وقد عزا هذا القول إلى بعض أئمة التفسير كمجاهد

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/ ٣٤٢).

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (٢/ ٣٩٧).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

وغيره[١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥ ﴾[٢]

قال القرطبي: أحسن ما أنزل هو القرآن وكله حسن، والمعنى ما قال: الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته، وقال السدي: «الأحسن ما أمر الله به في كتابه»، وقال ابن زيد: يعني المحكمات، وَكِلوا علم المتشابه إلى عالمه، وقال: أنزل الله كُتبًا التوارة والإنجيل والزبور ثم أنزل القرآن وأمر باتباعه، فهو الأحسن وهو المعجز وقيل: هذا أحسن لأنه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة[٣].

ج ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝١٥٩ ﴾[٤] قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ «هؤلاء هم أصحاب الأهواء والضلالات والبدع من هذه الأمة»[٥].

٢ـ من السنة المطهرة:

أـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «**أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله**

---

(١) تفسير ابن جرير بتصرف يسير: (٨/ ٨٧).
(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٥/ ٢٧٠).
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.
(٥) الاعتصام للشاطبي: (١/ ١٧٩).

وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها»[١].

ب ـ حديث جرير بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ قال: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٢].

ووجه الدلالة في تلك الآيات والأحاديث ظاهر وهو الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة لأنهما سبيل السعادة وطريق الفلاح في الدنيا ولآخرة.

---

(١) رواه مسلم ح: (٨٦٧).
(٢) رواه مسلم ح: (١٠١٧).

المبحث الثاني
ذم البدع والتحذير منها

البدعة في اللغة: تطلق على الشيء المخترع على غير مثال سابق، أي الأمر المحدث الجديد فيقال: لمن أتى بأمر لم يسبقه إليه أحد ابتدع[١].

أما في الاصطلاح: فهي كما يقول ابن رجب الحنبلي: «ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه»[٢].

ويعرفها الشاطبي بتعريف أشمل فيقول: «بأنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى»[٣] ومن عظيم نعم الله تعالى على عباده أن أكمل لهم الدين وأتم الشريعة فما فارق رسول الله ﷺ الدنيا إلاَّ بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأنزل الله عليه وهو واقف بعرفه في حجة الوداع: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤] ولقد كان اليهود يغبطون هذه الأمة على هذه الآية فقد جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقال: آية في كتابكم تقرؤنها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وأي آية هي؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

---

(١) لسان العرب لابن منظور: (٨/ ٧).
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: (٢٦٥).
(٣) الإعتصام للشاطبي: (١/ ٥٠).
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ .

يقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تأويل هذه الآية: «أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا»[١] .

وقد كانت القرون الثلاثة الأولى هي خير قرون هذه الأمة لتمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها ومحاربة البدع والضلالات ورفض الإحداث في دين الله عزَّوجل، وعلماء أهل السنة والجماعة يقررون دائمًا خطورة الابتداع في الدين وأهمية العمل بالكتاب والسنة وهذا طرف من أقوالهم:

١ـ أقوال بعض الصحابة:

أ ـ قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[٢] .

ب ـ قال عثمان الأزدي: «دخلت على ابن عباس فقلت له: أوصني، فقال: نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»[٣] .

ج ـ قال حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم اتبعوا آثارنا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا وإن أخطأتم فقد ضللتم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير لهذه الآية: (٢/ ١٢).
(٢) ذكره الحاكم في المستدرك: (١/ ١٠٣).
(٣) أخرجه الدارمي في سننه: (١/ ٥٠).

ضلالاً بعيدًا»[١]

٢ـ أقوال بعض التابعين:

أـ «قال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عزَّوجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ومن استبصر بها أبصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاَّه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[٢].

ب ـ يقول الحسن البصري: «أعرفوا المهاجرين بفضلهم واتبعوا آثارهم وإياكم وما أحدث الناس في دينهم فإنَّ شر الأمور المحدثات»[٣].

٣ـ أقوال بعض الأئمة:

أـ يقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمدًا خان الرسالة لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤] فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا»[٥].

ب ـ قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ «أصول السنة عندنا

(١) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة: (١/ ٣٣٦).

(٢) الشريعة للآجري: (٤٨).

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد: (٣٣٤).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) الاعتصام للشاطبي: (١/ ٦٤).

التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة»[١].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على ذم البدع ومحاربتها بأدلة كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا طرف منها:

١ـ من القرآن الكريم:

أـ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[٢] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ فأهل البدع والضلالة[٣]

ب ـ قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[٤] قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان»[٥].

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/ ٢٤١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي: (٧٤).

(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٥) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٠٧).

٢ـ من السنة المطهرة:

أـ عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة خلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعة ضلالة**»[١].

ب ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا ماليس منه فهو رد**» [وفي رواية مسلم]: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢] ووجه الاستدلال في الآيات والأحاديث ظاهرة لا تحتاج إلى إيضاح ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه أبوداود ح: (٤٧٠٧)، والترمذي ح: (٢٦٧٦، وقال حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري ح: (٢٦٩٧)، ومسلم ح: (١٧١٨).

المبحث الثالث
شبهات أهل البدع

يورد أهل البدع بعض الشبهات التي يبررون بها بدعهم مثل قولهم:

١ـ إنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قد فعلوا أشياء كثيرة لها علاقة بالدين ولم تكن في عهده ﷺ، مثل جمع القرآن، فهو في نظرهم بدعة حسنة، وقولهم هذا مردود، وشبهتهم باطلة؛ لأنَّ البدعة ـ كما عرَّفها العلماء ـ: هي إحداث شيء في دين الله ليس له أصلٌ ولا مثالٌ سابقٌ، وجمع القرآن ليس بدعة ولا إحداثًا؛ لأنَّ الله عزَّوجل قد أخبرنا أنَّ القرآن الكريم كتابٌ، في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[١] والكتاب اسم للقرآن المجموع وأيضًا فقد نهى النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو[٢]. أي المصحف الذي سيجمع وهذا دليل على مشروعية جمع القرآن في كتاب واحد ولكن لم يتم جمعه في عهده ﷺ لعدم قيام المقتضى لجمعه وهو تنزل القرآن فلما انقطع الوحي جرى جمعه عملاً بأمر الله عزَّوجل في كونه كتابًا محفوظًا.

٢ـ يستدل أهل البدع على بدعهم بقول الرسول ﷺ: «من

(١) سورة البقرة، الآية: ١.

(٢) رواه البخاري ح: (٢٩٩٠)، ومسلم ح: (١٨٦٩).

سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها».

والرد عليهم بالرجوع إلى سبب الحديث الذي يوضح معناه، فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وسبب هذا الحديث كما روى مسلم في الصحيح عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النماء أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لِمَا رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ **تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، ومن صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**[1].

والمعنى أنَّ من يبدأ بفعل أمر مشروع في دين الله كالصدقة

(١) رواه مسلم ح: (١٠١٧).

مثلاً فيتبعه الناس في هذا الفعل يكون قد سنَّ سنة حسنة ينال عليها أجر من تبعه دون أن ينقص من أجورهم شيء.

٣ـ كما يستدل أهل البدع بأنَّ المسلمين قد أحدثوا أشياء كثيرة مثل وضع الدواوين والمدارس وهي من البدع لأنَّ لها علاقة بالدين ويرد عليهم بأنَّ هناك فرقًا بين البدع وبين المصالح المرسلة التي تقتضيها مصلحة المسلمين وليس لها علاقة بأمور العبادة أي ليست من القرب والطاعات التي لايمكن فعلها إلاَّ بالدليل لافتقارها إليه، لأنَّ الأصل فيها المنع إلاَّ ماقام عليه الدليل، أما غير ذلك مما فيه مصلحة من مصالح المسلمين وليس من الأمور التعبدية فإن فعله ليس من البدع وهذا كالإجماع بين المسلمين.

المبحث الرابع
لوازم الابتداع

الابتداع في دين الله يفضى إلى لوازم خطيرة ذات أثر سيء على عقيدة المبتدع ودينه، منها:

١ـ أنَّ الابتداع يعني نقصان الدين وعدم كماله وهذا معارض لقوله عزَّوجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١) فقد أخبر سبحانه أنَّ هذا الدين قد كمل وأنه ليس بحاجة إلى إضافة أو زيادة.

٢ـ أنَّ الابتداع يؤدي إلى ضياع معالم الدين الحق وفتح باب الاستحسان والأحداث، وبالتالي عدم وقوف الناس عند حد معين من الابتداع، مما يضيع معه دين الله.

٣ـ أنَّ الابتداع يستلزم تنقص جناب النبي ﷺ واتهامه بأنه لم يبلغ الرسالة ولم يؤد الأمانة ولم ينفذ أمر الله له في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٢).

وأذكر أنني كنت في زيارة لإحدى الدول الإسلامية للمشاركة في مؤتمر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وفي أحد الأيام وبينما كنا جلوسًا في بهو الفندق لتناول الشاي ومعي بعض المشايخ والعلماء من دول متعددة فأردت أن أشغل

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

المجلس بإيراد بعض الفوائد وعندما بدأت أتحدث قاطعني أحد الجالسين، وقال لي: من أي البلاد أنت فقلت له: من المملكة العربية السعودية، فهز رأسه قائلاً: أنتم هناك في السعودية لا تحبون الرسول ﷺ، عندها تأثرت ولكنني لزمت جانب الهدوء رغم ضراوة الهجمه وشدة وقع الكلمة على نفسي، وسألته لماذا لا نحب الرسول ﷺ؟ فقال: لأنكم لا تحتفلون هناك بمولده، فقلت له: كلامك هذا يعني أنَّ التعبير عن محبته ﷺ إنما يكون بالاحتفال بمولده، قال: نعم، فقلت له: والله ما منعنا من الاحتفال إلاَّ محبته صلوات الله وسلامه عليه، قال: وكيف ذلك؟ قلت له: هل تقبل النقاش العلمي بعيدًا عن التعصب والهوى؟ قال: نعم، قلت له: سوف أسألك بعض الأسئلة وأرجو أن تجيبني عليها، قال: تفضل، قلت له:

السؤال الأول: هذا الاحتفال الذي تقيمونه في ذكرى مولده ﷺ وتعبرون به عن محبتكم له، هل هو طاعة تتقربون بها إلى الله وترجون عليها ثوابًا منه عزَّوجل؟ أم هو معصية.

فأجابني قائلاً: هو طاعة لله عزَّوجل نتقرب بها إليه سبحانه. فقلت له:

السؤال الثاني: هذه الطاعة هل علمها رسول الله ﷺ أم جهلها وأنتم علمتم بها، ومن المعروف بداهه عند كل مسلم أنَّ أعلم الناس بطاعة الله هو رسول الله ﷺ ولذا لم يتردد في الإجابة بقوله بل علمها رسول الله ﷺ فقلت له:

السؤال الثالث: هذه الطاعة التي علمها الرسول ﷺ هل بلَّغها

رسول الله ﷺ لأمته أم كتمها؟

عندها وقف حائرًا وأخذ يفكر في الإجابة لأنه لا يجرؤ على القول بأنَّ رسول الله ﷺ كتمها لأنَّ في هذا القول إتهام لجناب رسول الله ﷺ ووصفه بالتقصير وعدم تبليغ رسالة ربه، وأيضًا لا يقدر على أن يقول إنه بلغها لأنه وهو رئيس العلماء في بلده يعلم يقينًا أنه لايوجد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على مشروعيتها أو أنَّ النبي ﷺ قد أمر بها، ولكنه لم يجد بدًا في الإجابة بقوله: بل بلَّغها.

فقلت له: أعطني دليلاً واحدًا من السنة ولو كان ضعيفًا على أنه أمر بها فوقف مبهوتًا متحيرًا، فقلت له: لابدَّ من ذلك، وإذا عجزت ولم تقدر فمعنى ذلك أنَّ الرسول ﷺ قد كتمها ولم يبلغها لأمته، هنالك لم يجد بدًّا من الرجوع عن قوله بأنها طاعة وقال: هذا العمل ليس بطاعة، فقلت له: أجل هو معصية وأنتم تعبرون عن محبتكم لرسول الله ﷺ بمعصية الله؟ قال لا: ليس معصية، فقلت له: إذا لم يكن طاعة ولا معصية، فماذا يكون فقال: هو بدعة حسنة فقلت له ليس في الإسلام بدعة حسنة لأنَّ الحديث الصحيح قد نصَّ على أنَّ كل بدعة ضلالة[1] فقال: نحن لانقول فيها إلاَّ خيرًا، قلت له: وماذا تقولون قال: نقرأ بعض المدائح النبوية وبعض أحوال السيرة، وأحيانًا نحظى بالحضرة النبوية، قلت: وما الحضرة النبوية؟ قال: حضور النبي ﷺ وتشريفه للحفل، قلت: حفلكم أنتم فقط أم جميع

---

(١) سبق تخريجه.

الاحتفالات في شتى أقطار الأرض، وكيف يمكنه ذلك في ليلة واحدة فسكت ولم يستطع الإجابة.

ثم قلت له: وقد دخل وقت صلاة العصر، ما رأيك لو صلى بنا الإمام خمس ركعات فما حكم الصلاة؟ قال: باطلة، قلت: ولماذا! والإمام ما زاد إلاَّ خيرًا! فقد زاد ركعة خامسة قرأ فيها الفاتحة وسبَّح في ركوعها وسجودها.

فقال: لا تصح الزيادة لأنَّ النبي ﷺ لم يشرعها فقلت له: وكذلك الاحتفال بالمولد لا يصح، لأنَّ النبي ﷺ لم يأمر به، عندها مدَّ يده وقال لي أعاهدك بالله أنني من هذا اليوم سأكون حربًا عليها، فدعوت له بالتوفيق.

٤ـ من لوازم الابتداع وآثاره بغض السنة وأهلها وكراهيتهم ومعاداتهم. يقول الإمام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني ـ رحمه الله ـ «وعلامات أهل البدع ظاهرة على أهلها بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحمله أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم»(١).

---

(١) عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث: (٢٩٩).

المبحث الخامس
أمثلة لبعض البدع المنتشرة في معظم ديار المسلمين

أولاً: بدعة المولد النبوي:

مما لاشك فيه أنَّ نبينا محمدًا ﷺ هو أكرم خلق الله وأعظم منزلة عنده، وأن محبته جزء من عقيدة المؤمن، ولذا فإن ذكراه حية في قلوب المؤمنين في كل لحظة من لحظات حياتهم.

والاحتفال بمولده لإحياء ذكراه لا يليق بمقامه الرفيع إذ أن كل مسلم مأمور بالصلاة والسلام عليه عند ذكره صلوات الله وسلامه عليه، ومأمور بمتابعة الأذان المتضمن لشهادة أنَّ محمدًا رسول الله ومأمور بالتشهد المتضمن للصلاة عليه في كل صلاة يؤديها المؤمن من الفرائض والنوافل، فليس من توقيره أن نتذكره مرة واحدة في العام، لأنَّ ذكره في أعماق قلوبنا وعلى ألسنتنا صلوات الله وسلامه عليه، ومادام أنَّ الله قد أخبرنا في كتابه العزيز أنَّ محبته سبحانه لا تتحقق إلاَّ بمتابعة نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾(١)

وبما أنه ﷺ لم يفعل هذا الاحتفال وهو صاحب الشأن ولم يأمر به ولم يفعله أصحابه من بعده ولا أحد من سلف هذه الأمة في القرون المفضلة ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

ولأنه ﷺ قد أخبرنا بأنَّ «**كل عمل ليس عليه أمره فهو**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

رد»[١] وحيث أنَّ العبادات توقيفية وليس لأحد أن يشرع للناس شيئًا منها، والأصل فيها المنع والحظر إلاَّ ما ثبت بالكتاب والسنة، ولأنَّ دعوى محبته ﷺ بممارسة هذا المولد باطلة؛ لأنَّ محبته إنما تظهر جلية في متابعته واقتفاء أثره والتمسك بشريعته والعمل بسنته ﷺ.

وبما أنَّ الاحتفال بالمولد تشبُّه بالنصارى ونحن مأمورون بمخالفتهم وعدم التشبه بهم.

وبالنظر إلى مايقع في هذه الاحتفالات من المخالفات الشرعية والأخطاء العظيمة ومنها: الشرك بالله وسؤال المدد والاستغاثة والدعاء وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات من غير الله عزَّوجل إلى جانب الإسراف والتبذير وإضاعة المال.

كل هذه الحيثيات وغيرها تدعو إلى القول بتحريم مثل هذه الاحتفالات وعدم جوازها وضرورة إنكارها وعدم حضورها والمساعدة على إقامتها.

وقد صرَّح العلماء بالتحريم وهذا طرف من أقوالهم:

١ـ فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم: (٤٧٥٥)، ونصها: «الاحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة؛ لأنه ﷺ لم يفعله لنفسه ولا أمر بفعله ولم يفعله أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهم أحرص الناس على تعظيم الرسول ﷺ وإتباع سنته والخير كله في اتباع هديه ، وقد قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**» توقيع عضو الإفتاء/ عبدالله بن غديان،

---

(١) سبق تخريجه.

الرئيس عبدالعزيز بن عبدالله بن باز[١].

٢ـ فتوى الشيخ: محمد صالح بن عثيمين والتي أجاب فيها على سؤال عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي فقال: «ليلة مولد النبي ﷺ ليست معلومة على الوجه القطعي، فالاحتفال به ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، لا أصل له من الناحية التاريخية، ومن الناحية الشرعية فالاحتفال لا أصل له أيضًا لأنه لو كان من شرع الله لفعله النبي ﷺ أو بلَّغه لأمته ولو فعله أو بلَّغه لوجب أن يكون محفوظًا لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[٢] فلما لم يكن شيء من ذلك علم أنه ليس من دين الله وإذا لم يكن من دين الله فإنه لايجوز لنا أن نتعبد به لله عزَّوجل ونتقرَّب به إليه» إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «فالاحتفال بالمولد بدعة ومحرم»[٣].

ثانيًا: بدع القبور: وهي على أنواع:

١ـ التوجه إلى صاحب القبر بالدعاء وطلب قضاء الحاجات أو إزالة الكربات، كقول بعضهم: مدد يانبي أو مدد ياولي، أو أغثني، أو غير ذلك مما لايقدر عليه إلاَّ الله، ولا يطلب إلاَّ من الله، وهذه بدعة شركية، وفاعلها من جنس عُبَّاد القبور، فكل من دعا نبيًّا، أو وليًّا حيًّا أو ميتًا، وسأله شيئًا لا يسأل إلاَّ من الله، كغفران الذنوب وتفريج الكروب، وستر العيوب، فقد وقع في الشرك

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المجلد الثالث: (١٩).
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٣) المجموع الثمين من فتاوى بن عثيمين الجزء الأول: (٧٥).

الأكبر، والضلال البعيد.

٢ـ أن يسأل الله عزَّوجل بصاحب القبر، كقولهم: أسألك بصاحب هذا القبر، أو بالنبي، أو بالشيخ الفلاني، فهذا من التوسل الممنوع ومن البدع المنكرة التي أحدثها الناس.

٣ـ أن يعتقد أنَّ دعاء الله عند القبر مستجاب أو أنه أفضل من دعائه في المسجد، فيتوجه إلى القبر، ثم يدعو الله، وهذا من أعظم البدع والمنكرات التي أحدثت وأنكرها أئمة الدين وأعلام الهدى، يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«عن عبدالله بن دينار قال: رأيت عبدالله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ يدعو لأبي بكر وعمر وكذلك أنس بن مالك وغيره نقل عنهم أنهم كانوا يسلمون على النبي ﷺ فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لا يدعون مستقبلي الحجرة، وإن كان قد وقع في بعض ذلك طوائف من الفقهاء والصوفية والعامة ممن لا اعتبار بهم، فلم يذهب إلى ذلك إمام متبع في قوله ولا من له في الأمة لسان صدق عام»[١].

ثالثًا: تخصيص شهر رجب ببعض العبادات:

يخص أهل البدع والأهواء شهر رجب ببعض العبادات التي لم يأذن بها الله ولم يشرعها رسوله ﷺ ولا فعلها أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ ولم تعرف في القرون المفضلة وإنما أحدثت عند غلبة الجهل، وبعد الناس عن السنة، ولازالت تقع من العوام والجهلة

(١) فتاوى ابن تيمية: (١/ ٣٥٢).

حتى يومنا هذا، وذلك ما يسمونه بالعمرة الرجبية، وصلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب، وصيام بعض أيام رجب اعتمادًا على بعض الأحاديث الموضوعة والتي بيَّن العلماء عدم صحتها وقرروا بطلانها وأنها من الكذب الذي لا يجوز العمل به أو اعتقاد صحته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة بل موضوعة لا يعتمد أهل العلم على شيء منها: وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل، بل عامتها من الموضوعات والمكذوبات[١].

ويقول ـ رحمه الله ـ في موقع آخر:

«وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها، فلا تستحب لا جماعة ولا فرادى، والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع، باتفاق العلماء، ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلا». إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وصلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين، لم يسنها رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه، ولا استحبها أحد من أئمة الدين؛ كمالك، والشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة، والثوري، والأوزاعي، والليث، وغيرهم، والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث وكذلك الصلاة التي تذكر أول ليلة جمعة من رجب»[٢].

ويقول الإمام ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «وأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة يختص به، والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة من شهر رجب كذب وباطل، ولا

---

(١) فتاوى ابن تيمية: (٢٥/ ٢٩٠).

(٢) فتاوى ابن تيمية: (٢٣/ ١٣٢).

تصح، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء، وممن ذكر ذلك من أعيان العلماء المتأخرين من الحفاظ إسماعيل الأنصاري، وأبوبكر السمعاني، وأبو الفضل بن ناصر، وأبوالفرج بن الجوزي، وغيرهم، وإنما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم، وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة»[١].

رابعًا: بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

في السنة العاشرة من بعثة النبي ﷺ والتي ماتت فيها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ والتي كانت تمثل جبهه الدفاع الداخلية لمؤازرة النبي ﷺ، ومات فيها أيضًا عمه أبوطالب الذي كان يدافع عنه ويحميه من قبيلة قريش، في هذا العام الذي اصطلح المؤرخون على وصفه بعام الحزن، أكرم الله نبيه صلوات الله وسلامه بمعجزة خارقة لتثبيت فؤاده، وطمأنينة قلبه، فأُسري به من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى بيت المقدس بالشام، ثم عُرج به إلى السماء، حتى بلغ سدرة المنتهى، وهناك فرض الله عليه الصلوات الخمس، على ما أوضحت ذلك كتب السنة والسيرة، وهذه الحادثة من دلائل نبوته صلوات الله وسلامه عليه، وهي أيضًا من دلائل قدرة الله عزَّوجل الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وقد دلَّ على وقوع الإسراء والمعراج الكتاب الكريم والسنة المطهرة بالآيات الصريحة والأحاديث المتواترة الصحيحة، غير أنَّه لم يثبت أنَّ النبي ﷺ ولا خلفاءه

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب: (١٢٣).

الراشدين ولا صحابته أو التابعين أو أئمة الدين كانوا يخصون تلك الليلة باحتفال أو عبادة أو شيء من هذا، ولو كان ذلك أمرًا مشروعًا لبيّنه النبي ﷺ لأمته إما بالقول أو بالفعل أو بالإقرار ولو حدث هذا لنقله الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الذين نقلوا ما هو أدق وأخفى من هذا، بل لم يثبت تحديد تلك الليلة أو تعيينها في رجب أو في غيره فقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ «أنَّ ليلة الإسراء لا يعرف أي ليلة كانت»[(١)] وبعض العلماء ينكر وقوعها في رجب حيث يقول الإمام أبوشامة: «وذكر عن بعض القُصَّاص أنَّ الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والتخريج عين الكذب»[(٢)].

ومن المؤسف حقًّا أنَّ هؤلاء المبتدعة الذين يحتلفون بليلة الإسراء والمعراج من غير دليل شرعي نراهم أكثر الناس إهمالاً وإضاعة للصلوات المفروضة التي فرضها الله في ليلة الإسراء والمعراج وهذا من الخذلان وعدم التوفيق نعوذ بالله من ذلك.

خامسًا: تخصيص يوم عاشوراء ببعض العبادات

التطوع بصيام يوم عاشوراء ثابت في سنة رسول الله ﷺ ففي الصحيحين من حديث بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال: ماهذا قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه**»[(٣)].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم: (١/٥٨).

(٢) الحوادث والبدع لأبي شامة: (٢٣٢).

(٣) رواه البخاري ح: (٢٠٠٤)، ومسلم ح: (١١٣٠).

والسنة في هذا اليوم أن يصام فحسب كما صامه ﷺ وأمر بصيامه وهذا هو الحق في تعظيم هذا اليوم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ولكن المبتدعة لم يقفوا عند حدود السنة وإنما تجاوزوا ذلك إلى ذكر فضائل عن صيام هذا اليوم مستشهدين بأحاديث موضوعة قرَّر العلماء وأهل الشأن بطلانها، كما ذهب المبتدعة إلى شرعية التوسيع في النفقة على الأهل في هذا اليوم مستدلين بحديث موضوع باطل، وأوردوا آثارًا في فضل الاكتحال في هذا اليوم وهذه الفضائل لا تثبت إلاَّ بالدليل الصحيح الثابت من كتاب الله عزَّوجل أو سنة رسوله ﷺ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقد سئل عما يفعله بعض الناس في يوم عاشوراء فأجاب:

«الحمد لله رب العالمين: لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا استحب أحد من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئًا، لا عن النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا التابعين، لا صحيحًا ولا ضعيفًا، لا في كتب الصحيح، ولا في السنن والمسانيد، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة، ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث، مثل ما رووا أنَّ من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام، وأمثال ذلك، ورووا فضائل في صلاة يوم عاشوراء ورووا أنَّ في يوم عاشوراء توبة آدم، واستواء السفينة على الجودي ورد يوسف على يعقوب وإنجاء

إبراهيم من النار وفداء الذبيح بالكبش ونحو ذلك، ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ: «أنه من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر السنة» ورواية هذا كله عن النبي ﷺ كذب[١].

سادسًا: بدعة تخصيص ليلة النصف من شعبان ببعض العبادات:

ليلة النصف من شعبان ورد في فضلها حديث، صححه بعض أهل العلم، لتعدد طرقه وكثرة من رواه من الصحابة وهو ماروته عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّوجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب»[٢]. وعلى فرض صحة الحديث فإنَّ ذلك لايدل

---

(١) فتاوى ابن تيمية: (٢٥/ ٢٩٩).

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي ح: (٧٣٩)، وقال: سمعت البخاري يضعفه، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٣٨٩)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة برقم: (٢٩٥)، ورواه الإمام أحمد برقم: (٦/ ٢٣٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم: (٧٦٤)، جميعهم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بهذا اللفظ وأخرجه ابن حبان كمافي الموارد ح (١٩٨٠)، من رواية معاذ بن جبل وابن أبي عاصم في السنة ح: (٥١٢)، بلفظ: «يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجيمع خلقه إلاَّ المشرك أو المشاحن وصحح الألباني هذه الرواية في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح: (١١٤٤). كما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد: (١٣٦)، من رواية أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وابن أبي عاصم في السنة ح: (٥٠٩)، على نحو رواية معاذ بن جبل، وأخرجه ابن ماجه ح: (١٣٩٠)، من رواية أبي موسى الأشعري، وللحديث روايات أخرى عن أبي ثعلبة الخشني وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو، وقد ساق=

على شرعية تخصيص ليلها بصلاة أو نهارها بصيام لأنَّ الحديث لايقتضيه وإنما يدل فقط على فضلها وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ومن العلماء من السلف من أهل المدينة وغيرهم من الخلف من أنكر فضلها وطعن في الأحاديث الواردة فيها كحديث: «إنَّ الله يغفر فيها لأكثر من عدد شعر غنم بنى كلب» وقال: لافرق بينها وبين غيرها لكن الذي عليه كثير من أهل العلم أو أكثرهم من أصحابنا وغيرهم على تفضيلها، وعليه يدل نص أحمد، لتعدد الأحاديث الواردة فيها وما يصدق ذلك من الآثار السلفية، وقد روى بعض فضائلها في المسانيد والسنن وإن كان قد وضع فيها أشياء أخر، فأما صوم يوم النصف مفردًا فلا أصل له، بل إفراده مكروه واتخاذه موسمًا، تصنع فيه الأطعمة، وتظهر فيه الزينة، هو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها. وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من الاجتماع للصلاة الألفية في المساجد الجامعة ومساجد الأحياء والدور والأسواق؛ فإنَّ هذا الاجتماع لصلاة نافلة مقيدة بزمان، وعدد، وقدر من القراءة، مكروه لم يشرع، فإنَّ الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث[1]. وما كان هكذا لا يجوز استحباب صلاة بناءً عليه، وإذا لم يستحب فالعمل المقتضى لاستحبابها مكروه، ولو سوغ أنَّ كل

= الألباني هذه الروايات في السلسلة الصحيحة: (٣/ ١٣٥، ١٣٨)، ثم قال: وجملة القول أنَّ الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب والصحة تثبت بأقل منها عددًا ما دامت سالمة من الضعف الشديد.

(١) انظر: تنزيه الشريعة: (٢/ ٩٢)، والموضوعات لابن الجوزي: (٢/ ١٢٧).

ليلة لها نوع فضل تخص بصلاة مبتدعة يجتمع لها لكان يفعل مثل هذه الصلاة أو أزيد أو أنقص ليلتي العيدين وليلة عرفة[١].

سابعًا: بدع مختلفة

وهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال مايلي:

١ـ الجهر بالنية عند البدء في الصلاة أو الصيام أو الوضوء أو الاغتسال كأن يقول: نويت أن أصلي الظهر أربع ركعات، أو يقول: عند السحور اللهم إني نويت الصيام وعليك التمام، إلى غير ذلك من الأقوال التي ما أنزل الله بها من سلطان ولم يشرعها رسول رب الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وإنما هي بدعة منكرة يجب رفضها وعدم قبولها، يقول الله عزّوجل: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾[٢] والنية من أعمال القلوب وأعمال القلوب لا يقوم بها غيرها من الأعضاء واللسان عمله قولي وما دام أنَّ ذلك لم يرد في الشرع ففعله ابتداع في دين الله لا أصل له، يقول الإمام ابن رجب ـ رحمه الله ـ : «النية هي قصد القلب ولا يجب التلفظ بما في القلب في شيء من العبادات»[٣].

٢ـ أداء الأذكار المشروعة عقب الصلوات بشكل جماعي وهي من البدع الإضافية فإنَّ أصل الذكر مشروع لكن أداءه بالشكل الجماعي على نحو ما يقع في بعض البلدان أمر مبتدع لم يرد به

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: (٢/ ٣٢١).

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٦

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب: (١/ ٩٣).

دليل، والمنقول من فعله صلوات الله وسلامه عليه وفعل أصحابه من بعده وفعل سلف هذه الأمة في القرون المفضلة، ومن بعدهم أنهم يذكرون الله عزَّوجل لكل واحد بمفرده.

٣ـ استئجار القراء وإقامة المأتم على الأموات بزعم أنَّ ذلك ينفع الميت من البدع المحدثة التي أحدثها أهل البدعة ولا دليل عليها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٤ـ أذكار المتصوفة التي يذكرون الله بها بصيغة الإفراد للفظ الجلالة بزعم أنَّ ذكر الله بتكرار لفظ الجلالة هو ذكرالخاصة أما ذكره سبحانه بتكرار الضمير «هو» فهو ذكر خاصة الخاصة وهذا من أبطل الباطل وأشد البدع فإنه لم ينقل عن رسول الله ﷺ أو أصحابه أنهم فعلوا ذلك وهم خاصة عبادالله الذين حفظ الله بهم دينه وأعلى بهم كلمته.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ «والذكر بالاسم المضمر أو المفرد أبعد عن السنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى ضلال الشيطان، فإنَّ من قال ياهو ياهو أو هوهو، ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدًا إلاَّ إلى قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل» إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرًا أو مضمرًا فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد»[١].

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٧٣، ٨٢).

الباب السابع
طاعة ولاة الأمر

وتحته مباحث :

المبحث الأول: **وجوب طاعة ولاة الأمور**

المبحث الثاني: **وجوب عقد البيعة للحاكم المسلم**

المبحث الثالث: **كيفية تنصيب الإمام**

المبحث الرابع: **من الإمام الذي تجب طاعته**

المبحث الخامس: **كيفية الإنكار على الحكام**

المبحث الأول
وجوب طاعة ولاة الأمر

حين يجتمع البشر في مكان واحد، وفي بيئة معينة، فإن من الطبيعي أن تحدث بينهم المشاكل، وأن تقع بينهم الخلافات؛ وذلك لاختلاف طبائعهم وأهوائهم، ولذا لا يصلح حال الناس دون أن يتولى أحدهم أمر الحكم فيهم، وهذا الحكم يجب أن يعتمد على العدل والإنصاف، وإحقاق الحق، والأخذ على يد السفيه والعابث، وهذا لا يكون إلاَّ بتحكيم شرع الله الذي تضمن أعدل الأحكام، وأرقى النظم؛ لأنه من عند الله الذي يعلم حقيقة الإنسان وما يصلح أحواله ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[١]. فإذا قام الحاكم بأمانة الحكم بين الناس بالعدل على ضوء الحكم بما أنزل الله، وما تضمنته الشريعة الغراء من صدق الأخبار وعدل الأحكام، فإنه يجب على جميع المسلمين طاعة الحاكم العادل الذي يحكم بما أنزل الله، ويرعى ويحقق مصالح العباد، وطاعة ولاة أمور المسلمين من المسائل العقدية المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة يؤكدون عليها ويقررونها لبالغ أهميتها وعظم شأنها حيث لا تنتظم مصالح العباد في دينهم ودنياهم إلاَّ بالسمع والطاعة لمن ولاَّه الله أمرهم، فيما ليس فيه معصية لله عزَّوجل، وكان اهتمام السلف ـ رحمهم الله ـ بهذا الشأن بارزًا خصوصًا عند بروز الفتن وظهور القلاقل لما يترتب على الجهل بهذا وإضاعته من الفساد الكبير والخطر العظيم،

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

وحتى يجتمع شمل الأمة وتتوحد كلمتها وينصرف الإمام إلى واجباته في رعاية مصالح الأمة وتحقيق أهدافها كان لابدَّ من السمع والطاعة له في المعروف.

يقول الصحابي الجليل عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله، إلاَّ أن يأمرك بمعصية الله بواحًا أي جهارًا[١]. وعندما تبنى الخليفة العباسي المأمون القول بخلق القرآن، وحمل الناس عليه وقف الإمام أحمد بن حنبل وقفته التاريخية في إبطال هذا القول وإظهار الحق في هذه القضية غير أنَّ ذلك لم يحمله على مخالفة المنهج الصحيح بالدعوة إلى الخروج على ذلك الخليفة إنسياقًا وراء العاطفة والحماس الزائد، ولكنه تمسك بمنهج أهل السنة والجماعة، وعندما اجتمع فقهاء بغداد وجاءوا إليه وقالوا: إنَّ الأمر قد تفاقم وفشا، أي القول بخلق القرآن، ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه أي الواثق بالله، فقال لهم: «عليكم بالإنكار في قلوبكم ولا تخلعوا يدًا من طاعة، لا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر»[٢].

ولذا كان أئمة السنة يرون ضرورة الدعاء لولي الأمر لما في ذلك من المصلحة يقول الإمام الحسن بن علي البربهاري في كتاب السنة: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى

(١) الحجة في بيان المحجة للإمام لأصفهاني: (٢/ ٣٩٢).
(٢) طبقات الحنابلة: (١/ ١٤٤).

وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله».

يقول الفضيل بن عياض: «لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلاَّ في السلطان، قيل له: يا أبا علي فسِّر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تتجازوني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فيصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأنَّ جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين»[١] وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب طاعة ولاة الأمر بصريح الكتاب وصحيح السنة كما يلي:

أولاً من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾[٢] وفي الآية دلالة واضحة وأمر صريح بوجوب طاعة أولي الأمر.

قال ابن حجر في الفتح قال ابن عيينة سألت زيد بن أسلم عنها أي عن أولي الأمر في هذه الآية ولم يكن بالمدينة أحد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله فقال: أقرأ ما قبلها تعرف فقرأت: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ..﴾[٣] فقال: هذه في

(١) شرح السنة للبربهاري فقرة: (١٠٧).
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

الولاة[١].

وقال الشوكاني: «أولوا الأمر في هذه الآية هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه مالم تكن معصية»[٢]، ويدخل في أولي الأمر العلماء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «وأولوا الأمر أصحابه وذووه وهم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس»[٣]

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني**»[٤].

٢ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا: يارسول الله كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: تؤدي الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**»[٥].

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (١٣/ ١١٩).

(٢) فتح القدير للشوكاني: (١/ ٤٨١).

(٣) الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية: (١١٨).

(٤) رواه البخاري ح: (٧١٣٧)، ومسلم ح: (١٨٣٥).

(٥) رواه البخاري ح: (٧٠٥٢)، ومسلم ح: (١٨٣٨).

٣ـ حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكرِه مالم يؤمر بمعصية فإذا أُمرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[١]

وهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة في وجوب طاعة ولاة الأمور ولكنها طاعة مقيدة بأن تكون في المعروف، أما إذا أمر بمعصية الله فلا تجوز طاعته بل تحرم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقًا، إنما يطيعونهم في ضمن إطاعة الرسول كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ[٢]﴾»[٣].

ونظرًا لقلة من يعرف المنهج الصحيح الذي ينتهجه أهل الحق في هذه المسألة، ولجهل بعض طلبة العلم بهذا الأصل العقدي الهام، ولشيوع كثير من الأفكار المنحرفة والتي تأثرت بالفكر الاعتزالي والخارجي من حيث شعر المروجون لها، أو لا يشعرون، ولأنَّ الجهل بهذا الأمر قد أوقع الكثير من الدعاة والعاملين في الإسلام في كثير من الأخطاء، كانت لها آثارها السيئة على الدعوة وعلى الدعاة، ولأنَّ عدم إيضاح الحق في هذه القضية ـ خصوصًا للشباب ـ يعتبر في نظري خيانة لهم وتغريرًا بهم، قد يوقعهم في كثير من المحن التي لا طائل من ورائها، ولا يستفيد منها إلاَّ أعداء الإسلام، فإنني سوف أتحدث بشيء من التفصيل في بيان مسائل

---

(١) رواه البخاري ح: (٧١٤٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) منهاج السنة لابن تيمية: (٢/ ٧٦).

هذه القضية مع علمي سلفًا بأنَّ كثيرًا من المتشنجين والمندفعين سيلومونني على هذا وسيسيئون الظنون بي، أو على الأقل سوف أتَّهم من قبلهم بالسطحية، وعدم تقدير الأمور، وسيقولون بأنَّ المستفيد من هذا هو الحكام، وهذا بالطبع لفرط جهلهم بما يجب عليهم نحو الحكام أبرارًا كانوا أو فجارًا وإلاَّ فإنَّ الفائدة من بيان الحق تعم الحاكم والمحكوم، وتحقق المصالح العظيمة التي تهدف إليها الشريعة الغراء.

المبحث الثاني
وجوب عقد البيعة للحاكم المسلم
والتغليظ على من ليس في عنقه بيعة
والترهيب من نقضها

وهذا ما يقرره أئمة الدين وعلماء أهل السنة والجماعة ويؤكدون ضرورته.

يقول الإمام الحسن بن علي البربهاري: «والسمع والطاعة للأئمة فيما أحب الله ويرضى ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام برًّا كان أو فاجرًا»[١].

ودليل ذلك أنَّ عبدالله بن عمر جاء إلى عبدالله بن مطيع، حين خرج أهل المدينة على يزيد بن معاوية، وانحازوا إلى الحرة وولوا عليهم عبدالله بن مطيع، وهو صحابي وعبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، لما شاهدوه من قلة دين يزيد حتى قال عبدالله بن حنظلة: «والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة»[٢]، فلما قدم عبدالله بن عمر إليهما وهما في الحرة قال عبدالله بن مطيع: إطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله:

---

(١) شرح السنة للبربهاري فقرة: (٢٣).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: (٢٠٩).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لاحجة له ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[١]، ومثل ذلك وقع من محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبدالله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم فقال ابن مطيع: إنَّ يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبًا على الصلاة متحريًا للخير يسأل عن الفقه ملازمًا للسنة قالوا: فإنَّ ذلك كان منه تصنعًا لك فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلي الخشوع، أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه، فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال: إلاَّ من شهد بالحق وهم يعلمون[٢] ولست من أمركم في شيء قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا، قال: ما استحل القتال على ما تريدونني عليه تابعًا ولا متبوعًا قالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا، قال: لو أمرتهما قاتلت قالوا: فقم معنا مقامًا تحض الناس فيه على القتال معنا قال: سبحان الله آمر الناس بما لا أفعله

(١) رواه مسلم ح: (١٨٥١).
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

ولا أرضاه إذًا ما نصحت لله في عباده، قالوا: إذًا نكرهك، قال: إذا آمر الناس بتقوى الله ولا يُرضون المخلوق بسخط الخالق وخرج إلى مكة»[١].

وهذه الحادثة تبين بوضوح موقف محمد بن الحنفية وأنه لايرى الخروج على يزيد لما يرى في ذلك من المفاسد التي لا تحمد عقباها.

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٨/ ٢٣٦).

المبحث الثالث
كيفية تنصيب الإمام وحكم تعدد الحكام على الأقطار

يرى أهل السنة والجماعة أنَّ تنصيب الإمام لولاية أمر المسلمين يكون بإحدى الطرق التالية:

الأولى: الاختيار من قبل أولي الحل والعقد من العلماء والأعيان وأصحاب الرأي لمن يرون صلاحيته لتولي أمر المسلمين بعد توفر الشروط المطلوبة، وهذا ما حدث من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ فقد اختاروا أبابكر الصديق وبايعوه بالخلافة في سقيفة بني ساعدة وسمعوا له وأطاعوا.

الثانية: أن يقوم الإمام بتولية العهد لرجل يختاره لولاية المسلمين بعد وفاته فتصبح طاعته واجبة كما حدث لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الذي عهد بالخلافة بعده إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فأطاعه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

الثالثة: أن يتغلب رجل على الأمر ويتم له التمكين ويستتب له الأمر وتحصل له الشوكة وتخضع له الرقاب فهذا تجب طاعته وتصبح ولايته شرعية لما في ذلك من المصالح العظيمة من حقن الدماء والقضاء على الفتن وحماية الثغور وضبط الأمن بحفظ الأعراض والأموال.

يقول الإمام الشافعي: «كل من غلب على الخلافة بالسيف

حتى يسمى خليفة ويجتمع الناس عليه فهو خليفة»[١].

ويقول الحافظ بن حجر: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأنَّ طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء»[٢].

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ: «الأئمة مجمعون من كل مذهب على أنَّ من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء ولولا هذا ما استقامت الدنيا لأنَّ الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أنَّ شيئًا من الأحكام لايصح إلاَّ بالإمام الأعظم»[٣].

ويقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ:

«وأما بعد انتشار الإسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار الولاية إلى إمام أو سلطان وفي القطر الآخر كذلك ولا ينعقد لبعضهم أمر ولا نهي في قطر الآخر وأقطاره التي رجعت إلى ولايته، فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته وبايعه

(١) فتاوى الشافعي للبيهقي: (١/ ٤٤٨).
(٢) فتح الباري لابن حجر: (١٣/ ٧).
(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: (٧/ ٢٣٩).

أهله كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا تجب على أهل القطر الآخر طاعته ولا الدخول تحت ولايته لتباعد الأقطار فإنه قد لا يبلغ إلى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانها ولا يدري من قام منهم أو مات، فالتكليف بالطاعة والحال هذا تكليف بما لايطاق وهذا معلوم لكل من له إطلاع على أحوال العباد والبلاد، فاعرف هذا فإنه المناسب للقواعد الشرعية، والمطابق لما تدل عليه الأدلة ودع عنك ما يقال في مخالفته فإنَّ الفرق بين ماكانت عليه الولاية الإسلامية في أول الإسلام وماهي عليه الآن أو ضح من شمس النهار ومن أنكر هذا فهو مباهت لا يستحق أن يخاطب بالحجة لأنه لا يعقلها»[١]، ومن المعلوم أنَّ هذا الكلام يعني وجوب بيعة الإمام الذي حصل عليها بالقهر والغلبة لا بالاختيار كما حصل في بيعة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ليزيد بن معاوية فقد بايعه كرهًا، وقد روى البخاري في الصحيح قال: «لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ينصب لكل غادر لواءً يوم القيامة**» وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر، كانت الفيصل بيني وبينه»[٢].

(١) السيل الجرَّار للشوكاني: (٤/ ٥١٢).
(٢) رواه البخاري ح: (٧١١١).

المبحث الرابع
من هو الإمام أو الحاكم الذي تجب طاعته

يقسم علماء أهل السنة والجماعة الحكام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: حاكم مسلم على هدي نبوة وخلافة راشدة فهذا تجب طاعته باتفاق.

الثاني: حاكم مسلم يحكم بشريعة الله لكنه يقع في بعض المخالفات وتحدث منه بعض المظالم فيجب نحوه ما يلي:

١ـ عدم جواز الخروج عليه أو الدعاء عليه.

٢ـ وجوب طاعته في المعروف وفيما ليس فيه معصية لله عزَّوجل.

٣ـ الدعاء له لما في ذلك من المصلحة المتعدية فإنَّ صلاحه صلاح للأمة.

٤ـ مناصحته ولكن من ذوي الحظوة والقبول من العلماء، وعلى أن تكون سرًّا؛ حتى يرجى قبولها، فإنَّ النفوس جُبلَتْ على عدم قبول النصح العلني؛ لما في ذلك من تَنَقُّصٍ لها أمام الآخرين، وربما اتخذ الحاكم موقفًا عدائيًا من الناصح حتى يرد الحق، ولا يقبل النصيحة، وإذا كان الغرض من النصح هو القبول فإن هذا الغرض لا يتحقق إذا كان الإنكار علنيًا وبالتالي فلا مصلحة منه بالإضافة إلى مخالفته للتوجيه النبوي الكريم في قوله ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان بأمر فلا يبده علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به**

فإن قبل منه فذاك وإلَّا فقد أدَّى الذي عليه»[١].

الثالث: حاكم كافر يعلن كفره البواح الذي عندنا فيه من الله برهان ويحارب دين الله وأولياء الله فهذا يجب خلعه باتفاق ولكن بشرطين لابدَّ من توفرهما:

١ـ أن يكون لدي القائم بخلعه قدرة على ذلك فإن لم يكن لديه قدرة فإنَّ الخروج عليه يصبح حرامًا لما يترتب على ذلك من استئصال الخير وخلو الساحة لهذا الحاكم الكافر. فإنَّ وجود أهل الخير والفضل في ظل الحاكم الكافر يحصل به تحقيق سنة ربانية وهي سنة التدافع، والذي يقول عنها سبحانه: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض﴾ فيدفع الله الشر الممثل في الحاكم الكافر بالخير الممثل في وجود الصالحين وقيامهم بالدعوة إلى الله وتعليم الناس الخير، لكن هؤلاء الصالحين إذا قاموا بالخروج على الحاكم وليس لديهم مقدرة، أدَّى ذلك إلى القضاء عليهم وبقاء الشر دون تغيير أو علاج.

٢ـ ألاَّ يترتب على الخروج على ذلك الحاكم الكافر مفسدة أعظم من مفسدة وجوده كإضاعة الأموال وإراقة الدماء وانتهاك الأعراض وانفراط عقد الأمن.

ودليل جواز الخروج على الحاكم الكافر بعد توفر الشرطين السابق ذكرهما ما ثبت في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج كتاب السنة: (٢/ ٥٢١).

علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلَّا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[(١)].

(١) رواه البخاري ح: (١٨) ومسلم ح: (١٧٠٩).

المبحث الخامس
كيفية الإنكار على الحكام

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنوان سعادة الأمة وسبب خيريتها وهو من مسئولية كل مسلم، ولكن هذا يختلف بحسب أحوال أصحاب المنكر، فقد قسمهم الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية إلى قسمين:

الأول: أن يكون أصحاب المنكر آحادًا متفرقين وأفرادًا متبددين لم يتحزَّبوا فيه ولم يتظافروا عليه، وهم رعية مقهورون، وأفذاذ مستضعفون، فلا خلاف بين الناس أنَّ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنة والظهور واجب على من شاهد ذلك من فاعليه، وسمعه من قائليه.

الثاني: أن يكون فعل المنكر من جماعة قد تضافرت عليه، وعصبة قد تحزبت ودعت إليه، فقد اختلف الناس في وجوب إنكاره على مذاهب شتى فقالت طائفة من أصحاب الحديث وأهل الآثار: لا يجب إنكاره والأولى بالإنسان أن يكون كافًّا وممسكًا وملازمًا لبيته وادعًا غير منكر ولا مستفز[1].

وقد ذكر أقوالاً كثيرة لبعض الطوائف إلاَّ أنَّ خلاصة كلامه بأنَّ المنكر إذا وقع من الآحاد المتفرقين من الرعية والذين لم يتقلدوا ولاية على الآخرين فهؤلاء يجب أمرهم ونهيهم بما يردعهم ويقضي

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي: (٢٤٧).

على منكرهم لتحقق المصلحة وانتفاء الضرر والمفسدة، أما إذا وقع المنكر من الجماعة أو الحزب أو الأنظمة التي لها سلطة على الآخرين فإنَّ الإنكار في هذه الحالة لا يجب، ولعل ما ذهب إليه الجمهور من عدم إيجابه ناتج من عدم المصلحة من ذلك الإنكار، بل ربما لحق الضرر بالمُنْكِر مع استمرارية المُنْكَر وعدم زواله، وإلحاق الضرر بالداعية إضرارٌ بالدعوة لا يجب أن يُذهب إليه.

إنَّ غياب فقه الإنكار وجهل المسلم به من الأمراض التي شاعت في هذا الزمان مما زاد حجم البلاء وأتاح الفرصة لأعداء الإسلام حيث استثمروه في تصفية الإسلام وتشويه صورته والقضاء على دعاته ووصفهم بالإرهاب والتطرف وإثارة البلابل وإحداث القلاقل، وإلاَّ ما الذي سيحدث من الفوائد من قيام بعض الدعاة بإنكار بعض الأمور بصورة علنية سوى التسبب في منعهم وحرمانهم من الخير وحرمان الناس من الاستفادة من علومهم ومعارفهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فإنَّ الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشرع»[(١)].

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إنَّ النبي ﷺ شرع لأمته إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا

---

(١) الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية: (١٢٢).

يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة**» وقال: «**من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدًا من طاعته**»، ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه، ويواصل ابن القيم كلامه عن درجات إنكار المنكر فيقول: فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه

فالدرجتان الأوليان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلاَّ إذا نقلتهم منه إلى ماهو

أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب، أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد وإلاَّ كان تركهم على ذلك خيرًا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ماهم فيه شاغلاً لهم عن ذلك وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها، وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى، و هذا باب واسع وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه يقول: «مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له: إنما حرَّم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم»[١].

أما ما يتحجج به من يرى الإنكار علنًا وهو حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[٢] فإنَّ الحديث لم يتضمن مشروعية الإنكار العلني وإنما بين فضل القيام إلى الإمام الجائر والإنكار عليه وليس القيام إلى الناس والإنكار على الإمام، أمامهم، ولا شكَّ أنَّ هذا من أعلى مقامات الدين ولا يقدر عليه إلاَّ الأفراد من الرجال ولذلك استحق فاعله أن يكون سيدًا للشهداء، خصوصًا إذا علم أنَّ أمره أو نهيه سيؤدي إلى ردع هذا الحاكم، وأن الضرر لن يتجاوزه إلى غيره أما

(١) إعلام الموقعين لابن القيم: (٣/ ١٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وحسنه الألباني برقم: (٣٥٦٩).

إذا ترتب على كلمته للحق ضرر على غيره فإنَّ ذلك لا يجوز.

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ:

«الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ وأما تخشين القول نحو ياظالم، يامن لا يخاف الله فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلَّا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء»[١][٢].

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح: (١/ ١٩٧).

(٢) للمزيد من هذه القضايا انظر: كتاب معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد السلام بن برجس.

الباب الثامن
الإيمان بالقضاء والقدر

وتحته مباحث:

المبحث الأول: **وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.**

المبحث الثاني: **الفرق التي ضلت في القدر.**

المبحث الثالث: **الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.**

المبحث الرابع: **مراتب القضاء والقدر.**

المبحث الخامس: **ثمار الإيمان بالقضاء والقدر.**

المبحث الأول
وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان التي لايصح إيمان العبد إلاَّ بها، ويعرف أهل اللغة القضاء بأنه الحكم ومنه قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾(١) أي حكم، ويكون بمعنى الفراغ تقول: قضيت حاجتي، أي فرغت منها، وضربه فقضى عليه أي: قتله، كأنه أفرغ منه، وقضى نحبه، أي مات، ويأتي بمعنى الصنع والتقدير ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾(٢) ومنه القضاء والقدر(٣).

وعلى هذه المعاني تدور معظم التعريفات التي ذكرها أهل اللغة(٤) كما يُعرِّفون القدر بأنه القَدْر بإسكان الدال أي التقدير وتبيين كمية الشيء، وبفتحها ـ القَدَرْ ـ لغتان معروفتان القضاء والحكم ومبلغ الشيء(٥).

وقد اختلفت عبارات العلماء ـ رحمهم الله ـ في تعريف القضاء والقدر شرعًا أكثرها دلالة ووضوحًا قول السفاريني ـ رحمه الله ـ: «القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١٢.
(٣) الصحاح للجوهري: (٦/ ٢٤٦٣).
(٤) انظر: النهاية لابن الأثير: (٤/ ٧٨)، والمفردات للراغب الأصفهاني: (٤٠٦).
(٥) النهاية لابن الأثير: (٤/ ٢٢).

الأبد وأنَّ الله عزَّوجل قدَّر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدَّرها»[١]، وعن تلازم القضاء والقدر يقرر الإمام الخطابي: «أن أحدهما لاينفك عن الآخر فيقول: القضاء والقدر أمران لاينفك أحدهما عن الآخر، لأنَّ أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[٢].

والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ومبنى من مبانيه العظام، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ حول قصة جبريل ـ عليه السلام ـ ومجيئه إلى النبي ﷺ وتعليمه للصحابة أمور دينهم قوله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى»**[٣] وهو أي القضاء والقدر من الأمور الغيبية التي حجب الله علمها عن البشر، وأوجب على المسلم الإيمان الجازم والتسليم الكامل بها، لما يرتبه ذلك من السعادة للعبد في الدنيا والآخرة، فإنه إذا علم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، اطمأنَّ قلبه وهدأت نفسه ورضي بتقدير مولاه، فتخف عليه وطأة المصائب، ويتعلق القلب بالرب عزَّوجل، وهذا مقتضى الإيمان.

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني: (١/ ٢٤٨).

(٢) معالم السنن للخطابي: (٤/ ٣٢٣).

(٣) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

وعلى هذا درج سلف هذه الأمة في الإيمان بالقضاء والقدر باعتباره ركنًا من أركان الإيمان لايتم إلاَّ به وهذا طرف من أقوالهم:

أولاً: أقوال بعض الصحابة:

١ـ قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «والله لايطعم رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر ويقر ويعلم أنه ميت مخرج وأنه مبعوث بعد الموت»[١].

٢ـ قال عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «القدر نظام التوحيد فمن وحَّد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء نقضًا للتوحيد ومن وحَّد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقى التي لاانفصام لها[٢].

ثانيًا: أقوال بعض التابعين:

١ـ قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالحق إنَّ الله قدَّر خلقًا وقدَّر أجلاً وقدَّر بلاءً وقدَّر مصيبة وقدَّر معافاة، من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالقرآن»[٣].

٢ـ قال زيد بن علي ـ رضي الله عنه ـ وقد جاءه رجل فقال له: يازيد أنت تزعم أنَّ الله أراد أن يعصى، فقال له زيد: أيعصى الله عنوة؟ قال: فأقبل يخطر أي يعدو[٤].

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة: (١٢١٨).

(٢) الشريعة للآجري: (٢١٥).

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة: (١٢٥٤).

(٤) شرح أصول أهل السنة والجماعة: (١٢٦٤).

ثالثًا: أقوال بعض علماء أهل السنة والجماعة:

١ـ سئل الإمام أحمد عن القدر فقال: القدر قدَّره الله على العباد[١] وعن وجوب الإيمان به يقول: «ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره»[٢] ويقول أيضًا: «القدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومره، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره، من الله قضاءً قضاه، وقدرًا قدَّره عليهم، لايعدو واحد منهم مشيئة الله عزَّوجل، ولا يجاوز قضاؤه، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قُدِّر عليهم لا محالة، وهو عدل منه عزَّ ربنا وجلَّ»[٣].

٢ـ ويوضح الإمام الآجري بشيء من التفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة فيقول: «مذهبنا في القدر أن نقول إنَّ الله عزَّوجل خلق الجنة، وخلق النار، ولكل واحد منهما أهلاً، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين، ثم خلق آدم ـ عليه السلام ـ، واستخرج من ظهره ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعلهم فريقين؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير، وخلق إبليس وأمره بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ، وقد علم أنه لا يسجد، للمقدور الذي قد جرى عليه من الشقوة التي سبقت في العلم من الله عزَّوجل، لا معارض لله الكريم في حكمه، يفعل في خلقه ما يريد عدلاً من ربنا، قضاؤه وقدره، وخلق آدم وحواء عليهما السلام،

---

(١) مسائل إسحاق بن هانيء: (٢/ ١٥٥).
(٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/ ٣٤٣).
(٣) المصدر السابق: (١/ ٣٥).

وللأرض خلقهما أسكنهما الجنة وأمرهما أن يأكلا منها رغدًا ما شاءا، ونهاهم عن شجرة واحدة ألا يقرباها، وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة، فهو تبارك وتعالى في الظاهر نهاهما وفي الباطن من علمه قد قدَّر عليهما أنهما يأكلان منها: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1]، لم يكن لهما بدٌّ من أكلهما؛ سببًا للمعصية، وسببًا لخروجهما من الجنة، إذ كانا للأرض قد خلقا، وأنه سيغفر لهما بعد المعصية، كل ذلك سابق في علمه لا يجوز أن يكون شيء في جميع خلقه إلاَّ وقد جرى مقدوره فيه، وأحاط به علمًا قبل كونه، أنه سيكون، خلق الخلق كما شاء، لما شاء، فجعلهم شقيًّا وسعيدًا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا وهم في بطون أمهاتهم، وكتب آجالهم، وكتب أرزاقهم، وكتب أعمالهم، ثم أخرجهم إلى الدنيا، وكل إنسان يسعى فيما كتب له وعليه، ثم بعث رسله وأنزل عليهم وحيه وأمرهم بالبلاغ لخلقه فبلغوا رسالات ربهم، ونصحوا قومهم فمن جرى في مقدور الله عزَّوجل أن يؤمن آمن، ومن جرى في مقدوره أن يكفر كفر، قال الله عزَّوجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾[2].

أحب من أراد من عباده فشرح صدره للإيمان والإسلام، ومقت آخرين فختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم، فلن يهتدوا أبدًا، يضل من يشاء ويهدي من يشاء: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة التغابن، الآية: ٢.

وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(١)] .

الخلق كلهم له، يفعل في خلقه ما يريد، غير ظالم لهم، جلَّ ذكره عن أن ينسب ربنا إلى الظلم، إنما يظلم من يأخذ ما ليس له بملك، وأما ربنا عزَّوجل فله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وله الدنيا والآخرة، جل ذكره وتقدَّست أسماؤه، أحب الطاعة من عباده، وأمر بها، فَجَرَتْ ممن أطاعه بتوفيقه لهم، ونهى عن المعاصي وأراد كونها من غير محبة منه لها، ولا بالأمر بها، تعالى الله عزَّوجل أن يأمر بالفحشاء، أو يحبها، وجل ربنا وعز أن يجري في ملكه ما لم يرد أن يجري، أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه، قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وبعد أن يخلقهم، قبل أن يعملوا قضاءً وقدرًا، قد جرى القلم بأمره عزَّوجل في اللوح المحفوظ بما يكون من بر أو فجور، يثني على من عمل بطاعته من عبيده، ويضيف العمل إلى العباد، ويعدهم عليه الجزاء العظيم، ولولا توفيقه لهم ما عملوا ما استوجبوا به منه الجزاء: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[(٢)] قال محمد بن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ هذا مذهبنا في القدر[(٣)] .

٣ـ قال الإمام ابن بطة في الشرح والإبانة وهو يوضح معتقد أهل السنة والجماعة في مسألة القدر.

«ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢١.
(٣) الشريعة للآجري: (١٥٠).

وقليله وكثيره، مقدور واقع من الله عزَّوجل على العباد، في الوقت الذي أراد أن يقع لا يتقدم الوقت ولا يتأخر على ما سبق بذلك علم الله، وأنَّ ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما تقدم لم يكن ليتأخر، وما تأخر لم يكن ليتقدم، في هذا من صحة الدلائل وثبوت الحجة في جميع القرآن وأخبار المصطفى ﷺ ما لا يمكن دفعه، ولا يُقْدر على رده إلاَّ بالافتراء على الله عزَّوجل، ومنازعته في قدره. وإلى ماوصفناه، دعت الرسل وأنزلت الكتب، وعليه اتفق أهل التوحيد ممن أقرَّ لله بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية من ملك مقرب ونبي مرسل، منذ كان الخلق إلى انقضائه مجمعون على أنه ليس شيء كان، ولا شيء يكون في السموات ولا في الأرض إلاَّ ما أراده الله عزَّوجل وشاءه وقضاه، والخلق كلهم أضعف في قوتهم وأعجز في أنفسهم من أن يحدثوا في سلطان الله عزَّوجل شيئًا يخالفون فيه مراده ويغلبون مشيئته ويردون قضاءه.

فالإيمان بهذا حق لازم فريضة من الله عزَّوجل على خلقه فمن خالف ذلك أو خرج عنه أو طعن فيه ولم يثبت المقادير لله عزَّوجل ويضيفها ويضيف المشيئة إليه فهو أول الزنادقة[١].

٤ـ لخص شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر فقال: «مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أنَّ الله خالق كل شيء ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري: (٢١٣).

الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون شيء إلاَّ بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو القادر على كل شيء ولا يشاء شيئًا إلاَّ وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها.

وقد قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدَّر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون»[١].

أدلة أهل السنة والجماعة على الإيمان بالقضاء والقدر:

استدل أهل السنة والجماعة على الإيمان بقضاء الله وقدره بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ كما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قال عزَّوجل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾[٢] قال ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه في أم الكتاب وهو الإمام المبين قاله مجاهد وقتادة»[٣].

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٨/٤٤٩).

(٢) سورة يس، الآية: ١٢

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري: (١٢/٦٥٥)

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[١] قال ابن كثير: «أي قدَّر قدرًا وهدى الخلائق إليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أهل السنة على إثبات قدرالله السابق لخلقه وهو علمه بالأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل تبرمها وردوا بهذه الآية وما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرق القدرية الذين نبغوا في أواخر عهد الصحابة»[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[٣] قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: «إنَّ الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها فأتم في علمه أن يخلق خلقًا ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثوابًا لأهل طاعته وعقابًا لأهل معصيته فلما أتم ذلك الأمر قدَّره فلما قدَّر كتب وغاب عليه فسماه الغيب وأم الكتاب وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم»[٤].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١- ماثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك**

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤/٢٦٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن لابن جرير الطبري: (١٢/١٥).

فينفخ فيه بالروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»(١).

٢ـ ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»(٢).

٣ـ ما أخرجه مسلم أيضًا عن طاووس أنه قال: «أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر» قال: وسمعت عبدالله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز**»(٣).

ووجه الاستدلال في الأحاديث السابقة ظاهر وهو سبق علم الله وتقديره لمقادير الخلائق وأعمالهم وآجالهم وما سيصيرون إليه من سعادة أو شقاء.

وهذا العلم هو صفة كمال في الرب عزَّوجل، إذ أنه لا يعلم ما سيكون في المستقبل إلاَّ الله ولو لم يعلم الله ذلك لاستوى في

---

(١) رواه البخاري ح: (٣٢٠٨)، ومسلم ح: (٢٦٤٣).
(٢) رواه مسلم ح: (٢٦٥٣).
(٣) رواه مسلم ح: (٢٦٥٥).

العلم مع الناس الذين لا يعلمون ما سيكون إلاَّ بعد وقوعه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ولكن هذا العلم سابق لا سائق بمعنى أنَّ علم الله الذي سبق هو أنَّ فلانًا من الناس سيخلق وأنه سيبلغ سن التكليف وسيقوم بأداء أوامر الله وترك محارمه باختياره وبموجب ما منحه الله من قدرة على سلك سبيل الخير أو الشر فاختار سبيل الخير وترتب على هذا علم الله بأنه سيكون سعيدًا من أهل الجنة فهذا العلم السابق غير سائق لهذا الإنسان بحيث لايقدر على فعل الشر ولكنه اختار فعل الخير بنفسه.

والله سبحانه منزه عن الظلم ولن يسألهم يوم القيامة عما قضاه وقدره عليهم ولكنه سيسألهم عما عملوه بأيديهم وكسبوه بأفعالهم فقد ذكر ابن عبدالبر أنَّ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كتب إلى الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقال: «إنَّ الله لا يطالب خلقه بما قضى عليهم وقدَّر ولكن يطالبهم بما نهاهم عنه وأمر فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك والسلام ثم قال ابن عبد البر: وروينا أنَّ الناس لما خاضوا في القدر بالبصرة اجتمع مسلم بن يسار ورفيع أبو العالية فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى ننظر فيما خاض الناس فيه هذا الأمر قال: «فقعدا ففكرا فاتفق رأيهما أنه يكفي المؤمن من هذا الأمر أن يعلم أنه لن يصيبه إلاَّ ما كتب الله عليه، وأنه مجزي بعمله»[1].

ولأنَّ مسألة القدر من أخطر المسائل العقدية التي حار فيها النظار والعقلاء في القديم والحديث وظل فيها أكثر الخلق حيث لم

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر: (١٨/ ١٨).

يصلوا فيها إلى اليقين والصواب لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانه فتعبوا وأتبعوا وضلوا وأضلوا وأساءوا الظن بربهم فوقعوا في الضلال البعيد، وبما أنَّ الله سبحانه قد وفق أهل السنة والجماعة للحق في هذه المسألة وفي جميع المسائل لاتباعهم لكتاب الله عزَّوجل والسنة رسوله ﷺ على فهم سلف هذه الأمة.

فسوف أتحدث في المباحث التالية بشيء من التفصيل عن الفرق التي ضلَّت في القدر، وعن بطلان من يحتج بالقدر على فعل المعاصي وغير ذلك.

المبحث الثاني
الفرق التي ضلت في القدر

أولاً: الجبرية:

«وهم الذين غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته، وأنكروا أن يكون للعبد فعل، وأنَّ كل ما خلقه الله فقد رضيه وأحبه، وأنَّ العباد ليسوا بحاجة إلى العمل، ولا إلى الأخذ بالأسباب، لأنَّ ما قُدِّر عليهم سوف يأتيهم، كما يزعمون أنَّ العباد مجبورون على أفعالهم وأنَّ الإنسان لا قدرة له تؤثر في الفعل، بل هو كالريشة في مهب الريح ولذا تركوا العمل احتجاجًا بالقدر وإذا عملوا أعمالاً مخالفة للشرع تنصلوا عن المسؤولية فيها واحتجوا بالقدر على وقوعها»[١].

وقد ترتب على هذه العقيدة الفاسدة تعطيل قدرات الإنسان نحو الإصلاح واستسلامه لشهواته وغرائزه والوقوع في الذنوب والمعاصي، باعتبار أنَّ ذلك مما قدَّره الله عليه وأحبَّه ورضيه وأنَّ كل ما قدَّره على العبد سيصيبه فلا داعي لمجاهدة النفس لأنَّ ذلك لا يرد القدر، وأدى ذلك إلى ترك الأعمال الصالحة والأخذ بالأسباب المنجية من عذاب الله من صلاة وصيام ودعاء؛ لأنه لا فائدة من ذلك، فالذي قدَّره الله كائن لا ينفع معه دعاء ولا عمل، فتركوا الأمر بالمعروف، ولم يهتموا بإقامة الحدود؛ لأنَّ الجرائم في

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: (٢١١).

نظرهم قدر لابد منها، ورضخوا لظلم الظالمين وإفساد المفسدين؛ لأنَّ ما يفعله هؤلاء قد قدَّره الله وأراده، وقد تصدى علماء أهل السنة والجماعة لمزاعم هؤلاء الضالين بالإبطال والرد لما ذهبوا إليه، وبيَّنوا أنَّ الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة على الإتيان بها دلَّ على ذلك الشرع والعقل، فمن الشرع آيات وأحاديث كثيرة وردت مثبتة لقدرة الله عزَّوجل وقدرة الإنسان.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩﴾[1].

٢ـ قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[2] ووجه الاستدلال في الآيتين وغيرهما في القرآن كثير أنَّ الله أثبت للعباد مشيئة في اتخاذ السبيل الموصل إلى مرضاته وأثبت لهم مشيئة في إتيان زوجاتهم في موضع الحرث كيف شاءوا.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

قوله ﷺ: : **«ما منكم من أحد إلاَّ وقدكتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»**[3].

ثالثًا: من جهة العقل:

فإنَّ كل إنسان يعلم أنَّ له مشيئة وقدرة يفعل بهما مايريد

(١) سورة النبأ، الآية: ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٣) رواه البخاري ح: (٤٩٤٩)، ومسلم ح: (٢٦٤٧).

ويترك ما يريد وأنه يفرق بين ما وقع بإرادته ويتحمل مسئوليته وبين ما يقع قسرًا عليه ولا يشعر بالمسؤلية تجاهه كالاحتلام في نهار رمضان الذي لاتأثير له على الصيام لوقوعه بدون اختيار من العبد بينما لو تعمد الإنسان الاستمناء حتى يمنى فإنَّ صومه يفسد لوقوع ذلك باختياره، ولكن هذه المشيئة والقدرة داخلة ضمن مشيئة الله وقدرته على حد قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

فالآية أثبتت للعبد مشيئة داخلة ضمن مشيئة الرب عزَّوجل.

قال الإمام أحمد وقد سئل عن رجل يقول: «إنَّ الله جبر العباد على أفعالهم فقال: هكذا لا نقول وأنكر هذا وقال: يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجاءه رجل فقال: إنَّ فلانًا قال: إنَّ الله جبر العباد على الطاعة قال: بئس ما قاله»[2].

وقد هتك الله أستار هؤلاء بما سلطه عليهم من شهب الحق التي قذفهم بها العلامة ابن القيم في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل حيث يقول ـ رحمه الله ـ عن الجبرية في مقدمة ذلك الكتاب:

«ثم نبغت طائفة أخرى من القدرية ـ يعني الجبرية ـ فنفت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أنَّ حركته الاختيارية، ولا اختيار كحركة الأشجار عند هبوب الرياح، وكحركات الأمواج وأنه على الطاعة والمعصية مجبور، وأنه غير ميسر لما خلق له، بل هو عليه

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٨،٢٩.

(٢) كتاب السنة للخلال: (٣/ ٥٥٠).

مقسور ومجبور، ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين، ولمنهاجهم مقتفين، فقرروا هذا المذهب وانتموا إليه وحققوه، وزادوا عليه أنَّ تكاليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف بما لا يطاق، وأنها في الحقيقة كتكليف المقعد أن يرقى إلى السبع الطباق فالتكليف بالإيمان وشرائعه تكليف بما ليس من فعل المعبد ولا هو له بمقدور وإنما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق وهو على كل شيء قدير فكلف عباده بأفعال، وليسوا عليها قادرين ثم عاقبهم عليها وليسوا في الحقيقة لها فاعلين إلى أن قال: ـ رحمه الله ـ: «وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنة ناصرون وللقدر مثبتون والأقوال أهل البدع مبطلون هذا وقد طووا بساط التكليف وطففوا في الميزان غاية التطفيف وحمَّلوا ذنوبهم على الأقدار وبرأوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والأوزار وقالوا: إنها في الحقيقة فعل الخلاق العليم وإذا سمع المنزة لربه هذا قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، فالشرك ليس إليك والخير كله في يديك.

ولقد ظنت هذه الطائفة بالله أسوأ الظن، ونسبته إلى أقبح الظلم، وقالوا: إنَّ أوامر الرب ونواهيه كتكليف العبد أن يرقى فوق السموات، وكتكليف الميت إحياء الأموات، والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل ما لا يقدرون على تركه، وعلى ترك ما لا يقدرون على فعله، بل يعاقبهم على نفس فعله الذي هو لهم غير مقدور، وليس أحد ميسر له بل هو عليه مقهور، ونرى العارف منهم ينشد مترنمًا، ومن ربه متشكيًا ومتظلمًا:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له ... إيـاك إيـاك أن تبتـل بـالمـاء

وليس عند القوم في نفس الأمر سبب ولا غاية، ولا حكمة، ولا قوة في الأجسام، ولا طبيعة، ولا غريزة، فليس في الماء قوة التبريد، ولا في النار قوة التسخين، ولا في الأغذية قوة الغذاء، ولا في الأدوية قوة الدواء، ولا في العين قوة الإبصار، ولا في الأذن قوة السماع، ولا في الأنف قوة الشم، ولا في الحيوان قوة فاعلة، ولا جاذبة، ولا ممسكة، ولا دافعة، والرب تعالى لم يفعل شيئًا بشيء، ولا شيئًا لشيء، فليس في أفعاله باء تسبيب، ولا لام تعليل، وما ورد من ذلك فمحمول على باء المصاحبة، ولام العاقبة، وزادوا على ذلك أنَّ الأفعال لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقبيح، ولا فرق في نفس الأمر، بين الصدق والكذب، والبر والفجور، والعدل والظلم، والسجود للرحمن والسجود للشيطان، والإحسان إلى الخلق والإساءة إليهم، ومسبة الخالق والثناء عليه، وإنما نعلم الحسن من ذلك من القبيح بمجرد الأمر والنهي، ولذلك يجوز النهي عن كل ما أمر به، والأمر بكل ما نهى عنه ولو فعل ذلك لكان هذا قبيحًا وهذا حسنًا»[(١)].

ثانيًا: القدرية:

وهم نفاة القدر الذين يزعمون أنَّ الله لايعلم الأشياء قبل حصولها، ولا يعلم الأشياء إلاَّ بعد وقوعها، وإذا أمر عباده ونهاهم، فهو لا يعلم من يطيعه منهم ومن يعصيه، فإذا أطاعوه أو عصوه علم بعد ذلك السعداء منهم والأشقياء، وأنَّ الإنسان هو الذي يوجد فعل

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم: ص(٥).

نفسه من غير إرادة الله أو علمه به[١]. وقد نشأ هذا القول الباطل في أواخر عهد الصحابة، وأول من قال به معبد الجهني[٢] ويسمى هؤلاء بالقدرية الأولى، ثم نقله عنه رؤوس الاعتزال كواصل بن عطاء[٣] وعمرو بن عبيد[٤] الذين أقروا بعلم الله عزَّوجل ولكنهم أنكروا خلقه لأفعال العباد وزعموا أنَّ العباد هم الخالقون لأفعالهم وتبنوا هذه البدعة حتى عرفوا عند أهل السنة والجماعة بالقدرية وهم المعتزلة[٥].

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني: (١/ ٤٣)، والفرق بين الفرق للبغدادي: (١٨).

(٢) معبد الجهني أول من تكلم في القدر قال أبوحاتم قدم المدينة فأفسد فيها ناسًا وقال: الدار قطني حديثه صالح ومذهبه ردييء وقال الأوزاعي: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر أخذ عنه معبد الجهني، وقد اختلفوا في موته فقيل صلبه عبد الملك بن مروان وقيل قتله الحجاج بعد أن عذَّبه سنة: (٨٠هـ) تهذيب التهذيب: (١٠/ ٢٥).

(٣) واصل بن عطاء البصري كان يتجنب النطق بالراء، لأنه يلثغ بها وكان رجلاً فصيحًا بليغًا كان في مجلس الحسن البصري فلما قال بأنَّ الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وأنه في منزلة بين منزلتين طرده الحسن البصري وانضم إليه عمرو بن عبيد واعتزلا مجلسه فسموا المعتزلة مات سنة: (١٣١)، سير أعلام النبلاء للذهبي: (٥/ ٤٦٤).

(٤) عمرو بن عبيد القدري كبير المعتزلة قال النسائي: ليس بثقة كان زاهدًا قال فيه المنصور: كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد، غير عمرو بن عبيد.
قال الذهبي: اغتر بزهده وأغفل بدعته مات سنة: (١٤٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي: (٦/ ١٠٤).

(٥) انظر: مقالات لأبي الحسن: (٢/ ٢٢١)، وشرح الأصول الخمسة: (٢٩٩).

وقد أنكر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هذه الضلالة ونهوا الناس عن استماع هذه البدعة المنكرة استجابة لخبر النبي ﷺ الدال على نبوته والذي يرويه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[١]، كما نصَّ الأئمة على كفر هذه الطائفة التي لم تقر بعلم الله عزَّوجل وممن نصَّ على كفرهم الإمام مالك والشافعي وأحمد[٢].

والقدرية إنما ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه بقصد تنزيه الله وتقديسه، فزعموا أنَّ الله شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر وحجتهم أنَّ ذلك يؤدي إلى الظلم إذ كيف يشاء الله الكفر من الكافر ثم يعذبه عليه.

ولكنهم كما يقول الطحاوي كالمستجير من الرمضاء بالنار لأنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرٌّ منه، ويلزمهم أنَّ مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى فإنَّ الله شاء الإيمان منه على قولهم والكافر شاء الكفر فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى وهذا من أقبح الإعتقاد وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل[٣].

والحقيقة أنَّ مشيئة الله الكونية القدرية ليست ظلمًا كما يدَّعي

---

(١) أخرجه أبوداود في السنن ح: (٤٦٦٩١)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٨٥)، ورواه اللالكائي برقم: (١١٥٠)، وهو ضعيف وقال عنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، حسن برقم: (٥١٦٣).

(٢) انظر: فتاوى لابن تيمية: (٨/ ٢٨٨).

(٣) شرح الطحاوية وبه بتحقيق التركي والأرناءوط: (١/ ٣٢١).

القدرية تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فله الحجة البالغة والعدل المطلق والحكمة في كل شيء ففي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قال لي عمران بن الحصين ـ رضي الله عنه ـ «أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قد قضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلونه به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم، فقلت: بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم، قال: أفلا يكون ظلمًا، ففزعت فزعًا شديدًا، وقلت: كل شيء خلق الله، وملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلاَّ لأحرز عقلك إنَّ رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يارسول الله أرأيت ما يعلم الناس اليوم ويكذبون فيه أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم فقال: لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك من كتاب الله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[1]»[2].

وممن تصدَّى لهذه الفرقة الضالة وفنَّد ضلالاتها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة فيقول: «وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضًا على أنَّ العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون أنه لاحجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٧، ٨.

(٢) رواه مسلم ح: (٢٦٥٠).

على عباده ومن احتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محذور أو دفع ماجاءت به النصوص في الوعد والوعيد فهو أعظم ضلالاً وافتراءً على الله ومخالفة لدين الله من أولٰئك القدرية أنَّ أولٰئك مشبهون بالمجوس وقد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روى ذلك عن ابن عمر وغيره من السلف»[١].

وبتأمل أقوال كل طائفة يتضح أنَّ كلا من الجبرية والقدرية قد أصابت من وجه وأخطأت من وجه آخر.

فالجبرية أصابت في جعلها أفعال العباد مخلوقة لله ولكنها أخطأت في سلب العبد قدرته على فعل أفعاله.

والقدرية أصابت في تحميل العبد مسئولية فعله ولكنها أخطأت في سلب الرب عزَّوجل قدرته الغالبة على خلق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد في حين وفق الله أهل الحق وهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة والمنعم عليهم وفقهم إلى القول الحق المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأثبتوا للرب سبحانه خلقه وفعله وأثبتوا أيضًا للعبد فعله ومسئوليته عن تصرفاته.

وفي هذا المعنى يقول شارح الطحاوية: «وقال أهل الحق أفعال العباد بها صاروا طائعين وعصاة وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه فالجبرية غلوا في إثبات القدر فنفوا صنع العبد أصلاً كما غلت المشبهة[٢] في

---

(١) فتاوى لابن تيمية: (٨/ ٤٥٢).

(٢) التشبيه هو التسوية بين الخالق والمخلوق وهو مذموم لأنه معارض لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى، الآية: =

إثبات الصفات فشبهوا والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة بل أردأ من المجوس من حيث أنَّ المجوس أثبتوا خالِقَيْنِ وهؤلاء أثبتوا خالِقِين، وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم فكل دليل صحيح يقيمه الجبري فإنما يدل على أنَّ الله خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير، وأنَّ أفعال العباد من جملة مخلوقاته وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يدل على أنَّ العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار وأنَّ حركاته الإختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل يقيمه القدري فإنما يدل على أنَّ العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مريد له مختار له حقيقة وأنَّ إضافته ونسبته إليه إضافة حق ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، أو أنه واقع بغير مشيئته وقدرته، فإذا ضممت ما مع كل طائفة من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل ذلك على مادلَّ عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال وأنَّ العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإنَّ أدلة الحق لاتتعارض والحق يصدق بعضه بعضًا»[1].

= ١١] وأول من قال بالتشبيه غلاة الروافض ويسمون البيانية، الذين زعموا أنَّ الله على صورة إنسان في أعضائه وأنه يغني كله إلاَّ وجهه، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، انظر: الفرق بين الفرق : (٢١٤)، والملل والنحل: (١/١٠٦).

(١) شرح الطحاوية بتحقيق التركي، الأرناؤط: (٢/ ٦٤٠).

المبحث الثالث
الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي

الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية قديم، قدم بدء الخليقة، وأول من قال به إبليس أعاذنا الله منه، فإنه بعد أن رفض أمر الله بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ واستحق غضب الله عليه بلعنه وطرده من رحمته وإخراجه من الجنة، لم يندم، ولم يتب، ولم يرجع على نفسه باللائمة، بل زاد عصيانًا وتمردًا؛ بإضافة غوايته إلى الله فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1] وهكذا تلقى كثير من البشر هذه الحجة الباطلة عن إبليس فغرقوا في الضلال ووقعوا في المعاصي والآثام ثم احتجوا على ذلك بالحجة الإبليسية وقالوا: هذا شيء قدَّره الله علينا فحملوا مسئولية خطاياهم على ربهم، وهو الذي نهاهم عن تلك المعاصي وقد أخبر الله عن أمثال هؤلاء فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾[2] وقد أسقط الله حجتهم وأبطل مقالتهم ووصفها بأنها محض التخرص والقول على الله بلا علم فقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[3] وأخبر سبحانه أنَّ القول على الله بلا علم من أكبر الكبائر بل قرنه

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٥.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٠

بالشرك به سبحانه وجعله من جملة الفواحش المحرمة، فقال عزَّوجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1]، ولا شكَّ أنَّ هذه الحجة الداحضة والزعم الباطل قول على الله بغير علم يستحق قائله ومعتقده أشد العذاب كما استحقه إبليس اللعين نعوذبالله منه، وقد بنى هؤلاء الجهلة قولهم الباطل على شبهات عرضت لهم وقذفها الشيطان في أذهانهم وسوَّل لهم وأملى لهم محتجين بالحديث الصحيح الذي احتج فيه آدم بالقدر حينما لامه على خروجه وذريته من الجنة، وهذا الحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم ونصه:

«احتج آدم وموسى وفي لفظ أنَّ موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة بخطيئته فقال موسى: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكم تجد فيها مكتوبًا وعصى آدم ربه فغوى قبل أن أخلق؟ قال: بأربعين سنة، وفي لفظ قال: أفتلومني على أمر قد قدَّره الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين سنة، قال: فحجَّ آدم موسى»[2].

وهذا الحديث إنما تضمن التسليم للقدر عند وقوع المصائب وعدم جواز لوم المذنب التائب، وذلك لأنَّ المؤمن مأمور بأن يحتج

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٢) رواه البخاري ح: (٣٤٠٩)، ومسلم ح: (٢٦٥٢).

بالقدر عند نزول المصائب التي تقع عليه بغير اختيار لكن لا يجوز له أن يحتج بالقدر على المعايب التي تقع منه بتعمد وإصرار، وذلك إنما حجَّ آدم موسى، لكونه قد تاب من الذنب واستسلم للمصيبة التي لحقت به وبذريته بسبب أكله من الشجرة، وموسى ـ عليه السلام ـ لم يلم آدم على ذنبه الذي تاب منه لأنَّ آدم لم يكن متلبسًا بالذنب حال الاحتجاج، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وموسى ـ عليه السلام ـ أعلم بالله من أن يلوم تائبًا على ذنب قد تاب منه وغفر الله له، فكيف بأبيه آدم الذي تاب عليه ربه واجتباه، وإنما لامه لأجل ما لحق ذريته من المصائب المستمرة، والتي تقتضي نوعًا من الجزع يؤدي إلى لوم من كان سببًا فيها كمن يلام من أوقع أصحابه في مشقه أو تسبب لهم في مصيبة ولهذا لم يقل له موسى لماذا أكلت من الشجرة، وإنما قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة، وبهذا يظهر أنَّ احتجاج آدم على موسى بالقدر إنما كان على ما لحقه وذريته من المصائب لا على ماوقع منه من الذنب الذي قد محته التوبة، وعلى هذا يبطل الاحتجاج على المعاصي بهذا الحديث.

قال بعض السلف: «اثنان أذنبا آدم وإبليس ، فآدم تاب فتاب الله عليه واجتباه، وإبليس أصرَّ على معصيته واحتج عليها بالقدر فلعنه الله وطرده، فمن تاب من ذنبه فقد شابه أباه آدم، ومن شابه أباه فما ظلم، ومن أصرَّ على الذنب واحتجَّ عليه بالقدر فقد شابه إبليس عدوه ومن شابه عدوه فقد ظلم وظلم وظلم».

والاحتجاج بالقدر على المعاصي كما هو مردود بالشرع فإنه

مرفوض أيضًا بالعقل فإنَّ الظالم إذا أوقع ظلمًا على آخر والقاتل إذا سفك دم آخر والسارق إذا سرق مال غيره، ثم احتج على ذلك بالقدر لم يقبل منه ذلك، ولو وقعت عليه تلك الأمور ثم احتج عليه بالقدر لم يقبل هو ذلك، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش والظالم لم يحسن أن يلوم أحدٌ أحدًا، ولا يعاقب أحدٌ أحدًا، وكان للإنسان أن يفعل في دم غيره وماله وأهله ما يريد من الظلم والقبح ثم يحتج بأنَّ ذلك مقدر عليه وهذا ما لايقوله العقلاء، ولذا قال بعض أهل العلم لبعض هؤلاء: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري، أي أنَّ هؤلاء إذا أمروا بطاعة الله قالوا: حتى يقدرها الله علينا، وإذا نهوا عن معصية الله قالوا: نحن مجبورون عليها، وهذا هو عين التناقض والمعاندة والمكابرة نسأل الله العافية والسلامة.

ومما يتذرع به المحتجون بالقدر على المعاصي ما ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه بالروح ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل

الجنة فيدخلها»[١].

ووجه استدلالهم أنهم يحتملون أنَّ الله قد كتب عليهم الشقاء، ولذا فهم يسيرون فيما كتبه الله عليهم، وهذه حجة واهية واستدلال باطل فإنَّ ما كتبه الله على العبد في بطن أمه غيب لا يعلمه إلاَّ الله، وما داموا لا يعلمون فلماذا لا يحتملون أنَّ الله قد كتبهم من السعداء ولكنهم يخالطون أنفسهم وينهزمون أمام شهواتهم، ثم يحملون مسئولية ذلك على علم الله المغيب عنهم ويقولون على الله بغير علم.

والمؤمن بمقتضي إيمانه بالله يجب أن يعتقد أنَّ الله لايظلم مثقال ذرة وأنه مأمور بطاعة الله وترك معصيته وهذا داخل في حدود مسئوليته واستطاعته، أما علم الله عزَّوجل فهو من صفاته الكاملة التي تليق بجلاله، ولا يعلمه أحد من الخلق إلاَّ بعد وقوعه وإرادة العبد لما يفعله سابقه لفعله وهي غير مبنية على العلم بقدر الله فادعاؤه أنَّ الله قدَّر عليه كذا وكذا ادِّعاء باطل لأنه ادِّعاء لعلم الغيب، والغيب لايعلمه إلاَّ الله فبطلت بذلك حجته.

---

(١) رواه البخاري ح: (٣٢٠٨)، ومسلم ح: (٢٦٤٣).

المبحث الرابع
مراتب القضاء والقدر

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر على درجتين، وكل درجة تتضمن حقيقتين:

فالدرجة الأولى في نظره ـ رحمه الله ـ: هي الإيمان بأنَّ الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق، والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[1] وقال عزَّوجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[2].

أما الدرجة الثانية: فهي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأنَّ ماشاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة، ولا سكون، إلاَّ بمشيئة الله سبحانه، لايكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل

(١) سورة الحج، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

شيء قدير، من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلاَّ والله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين، والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولايحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولايأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد. والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم[1].

وحاصل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر يشتمل على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم

وهي الإيمان بأنَّ الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً، وأنَّ علمه محيط بما كان، وما سيكون، ومالم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم، والممكن والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وقد علم سبحانه جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأدلة هذه المرتبة مستفيضة في الكتاب والسنة من مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

---

(١) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية: (٣٥٢).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢) وقوله عزَّوجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾(٣).

وفي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام: «**مامنكم من نفس إلَّا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار**»(٤).

المرتبة الثانية: الكتابة:

وهي الإيمان بأنَّ الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ وأدلة هذه المرتبة كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾(٥) وقوله عزَّوجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾(٦) وقوله سبحانه عن محاجة موسى ـ عليه السلام ـ لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾(٧)

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٢.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٤) رواه مسلم ح: (٢٦٤٧).
(٥) سورة الحج، الآية: ٧٠.
(٦) سورة يس، الآية: ١٢.
(٧) سورة طه، الآية: ٥١، ٥٢.

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء**»[(١)].

وفي الصحيحين يقول النبي ﷺ: «**ما من نفس منفوسة إلَّا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، إلَّا قد كتبت شقية أو سعيدة**»[(٢)]

المرتبة الثالثة: المشيئة

وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، وليس من حركة أو سكون، ولا هداية أو إضلال، إلاَّ بمشيئته سبحانه، وهذه المشيئة تجتمع مع القدرة الشاملة فيما كان وفيما سيكون، وتفترقان فيما لم يكن، وليس بكائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لايكون لعدم مشيئته لا لعدم قدرته عليه، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[(٣)] فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرة الله ولكن لعدم مشيئته ذلك.

وأدلة هذه المرتبة في القرآن والسنة كثيرة جدًا منها: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[(٤)] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا

(١) رواه مسلم ح: (٢٦٥٣).
(٢) رواه البخاري ح: (١٣٦٢) ومسلم ح: (٢٦٤٧).
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٤) سورة القصص، الآية: ٢٩.

تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[(١)].

وفي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»[(٢)].

المرتبة الرابعة: الخلق

وهي الإيمان بأنَّ جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها وأنَّ كل من سوى الله مخلوق من العدم كائن بعد أن لم يكن ودليل هذه المرتبة من القرآن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[(٤)].

ومن السنة المطهرة: ما أخرجه البخاري من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يصنع كل صانع وصنعته**»[(٥)].

وعلماء أهل السنة والجماعة يقررون أنَّ أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي، داخلة في خلق الله وقضائه وقدره، فقد علم الله ما سيخلقه في عباده وعلم ماهم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فعملوا على

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٢) رواه مسلم ح: (٢٦٥٥).

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٥) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد: (٢٥).

النحو الذي شاءه فيهم، وهدى الله من كتب لهم السعادة وأضل من كتب لهم الشقاوة وعَلِمَ أهل الجنة فيَسَّرهُم لعمل أهلها نسأل الله أن يجعلنا منهم وعلِمَ أهل النار ويسَّرهُم لعمل أهلها، نعوذُ بالله من ذلك، وهذا لا يعني أنَّ العبد مجبور على التصرف، مسلوب الإرادة، بل هو الفاعل على الحقيقة بمحض مشيئته وقدرته، ولكنها غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته، بل هي تابعة لها.

وقد حرَّر شيخ الإسلام مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد بقوله: «مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، لا رب غيره، ولا خالق سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، منهيٌّ عن معصيته، ومعصية رسوله ﷺ، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقًا للذم والعقاب، وكان لله عليه الحجة البالغة، ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضائه وقدره ومشيئته وقدرته، لكن يحب الطاعة، ويأمر بها، ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم، ويبغض المعصية، وينهى عنها، ويعاقب أهلها وينهاهم، وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه.»[1]

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٨/ ٦٣).

المبحث الخامس
ثمار الإيمان بالقضاء والقدر

عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ذات أثر عظيم في حياة الإنسان يترتب عليها سعادته في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا لا يأسىٰ على ما فاته ولا يحزن على مالم ينله، وأيضًا لا يفرح بما حصل عليه من الحظوظ الفانية، وإنما تراه منهمكًا في تتبع مراضي ربه، حريصًا على فعلها، وتراه حذرًا من الوقوع في مساخطه، يدفع أقدار الشر بالخير، وأقدار الجوع بالطعام، وأقدار المرض بالدواء، وأقدار الفقر بالسعي في طلب الرزق، يأخذ بالأسباب ولا يعتمد عليها، بل يطلب من ربه العون على ما عجز منها، وحين استقرت هذه العقيدة في نفوس الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أثمرت ثمار الخير، وسكبت في قلوبهم السكينة وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وعرفوا ما هو المطلوب منهم، فقاموا به خير قيام فارتاحت أعصابهم، وانطلقوا يبلغون دين الله، ويفتحون القلوب قبل البلدان، بعد أن استصغروا جميع قوى الأرض، بما أفاضته عقيدة الإيمان بالقدر على قلوبهم من الشجاعة، فحققوا من الأعمال مايشبه الخوارق، وأنجزوا من الفتوحات ما لايزال مثار دهشة وإعجاب جميع أمم الأرض، في زمن قياسي قصير، وما ذاك إلاَّ ثمرة الإيمان بالقدر، وعلمهم أنَّ ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأنَّ أهل الأرض لو اجتمعوا عليهم لم يضروهم إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليهم، وأنَّ نفوسهم لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، ويمكن حصر

ثمار الإيمان بالقدر في التالي:

١ـ الشعور بالرضا والارتياح إزاء كل الأقضية والأقدار، لعلم المؤمن أنَّ هذه المقادير إنما تجري بأمر الله وتدبيره، وأنَّ الخير دائمًا فيما يختاره الله، يقول عزَّوجل: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[1]. فيصبر عند المصيبة، ويشكر عند النعمة، ويكون بهذا سالكًا سبيل المؤمنين بين منزلتي الصبر والشكر، التي لايسلكها إلاَّ الأخيار في هذه الأمة، ففي الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام: «**عجبًا للمؤمن إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**»[2].

إنَّ المحروم من عقيدة الإيمان بالقدر لا يصمد أمام الشدائد، ولا يتحمل ضغط المصائب، وقد يصاب بعضهم بالأمراض، وقد يلجأون إلى تعاطي المخدرات، أو إلى الانتحار هروبًا من واقعهم المر الذي يعانون منه، والعياذ بالله.

٢ـ السلامة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة، التي تفتك بالمجتمعات وتؤدي إلى الضغائن، وزرع الأحقاد، مثل الحسد، وكراهية الناس من أجل ما أنعم الله به عليهم من النعم، وتمني زوالها، وذلك لأنَّ المؤمن يعلم أنَّ هذا الرزق الذي أعطاهم الله، إنما كان بقدره سبحانه، وأنَّ حرمانه من مثل هذا الرزق أيضًا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) رواه مسلم ح: (٢٩٩٩).

إنما كان بقدر الله، ولذا يرضى بقضاء الله ولا يعترض على قدره، فيثمر ذلك راحة وسرورًا وأمنًا وطمأنينة.

٣ـ التوكل الصادق والاعتماد الجازم على الله في جميع الأحوال، وفي كل الظروف، ليقين العبد أنه لا يصيبه إلاَّ ما قدَّر الله عليه، وأنَّ الناس لا يملكون لأنفسهم ـ فضلاً عن غيرهم ـ نفعًا ولا ضرًا ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

٤ـ التسليم لله عزَّوجل وترك الاعتراض على أحكامه سبحانه، وتقبل ذلك بصدر رحب، وقلب منشرح، مما يُضفي على القلب الأمن، واليقين وينزع منه القلق والاضطراب.

٥ـ الجدية في مباشرة الأمور، والحزم في معالجة القضايا، وعدم العجز والكسل والانهزام أمام الأحداث، والحرص على ما ينفع استجابة للتوجيه النبوي الكريم: «**إحرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء لا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**»[(١)].

٦ـ علو الهمة وعدم اليأس والاستسلام للواقع السيء، فيدفعه إيمانه بالقدر إلى بذل الجهد، واستنفاد الطاقة في سبيل نصرة الحق والدفاع عنه.

٧ـ عزة النفس، والشعور بالقناعة، والتحرز من الخضوع لغير الله، لأنَّ المؤمن يعلم أنَّ رزقه مكتوب ومقدر، وأنه لن يموت إلاَّ بعد استكمال هذا الرزق وأنَّ العباد مهما حاولوا منع الرزق عنه فإنَّ

(١) رواه مسلم ح: (٢٦٦٤).

رزقه الذي قد كتبه الله له سوف يصل إليه، ولذا لا داعي للقلق، أو الخضوع والتكالب والحرص، وإنما يجب تعلق القلب بالله عزَّوجل، الذي بيده مقاليد الأمور وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٨ـ سكون القلب وطمأنينة النفس، وهي من أعظم ما يحرص الإنسان على تحقيقه لأنه عنصر السعادة، وسبب الارتياح، فهي هدف كل كائن، ومطلب كل حيٍّ، وما التطاحن والتنافس المشهود في كافة بقاع الأرض إلاَّ لتحقيق أكبر قدر من السعادة، ولكنهم أخطأوا الطريق إليها، حين خلت قلوبهم من عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، ولذا تجد عند عوام المسلمين من اليقين والراحة ما لا تجده عند كبار الأغنياء والأثرياء، حتى شهد بذلك أحد الغربيين ويدعي «بودلي» الذي كتب مقالاً بعنوان: «عشت في جنة الله» يقول فيه: «في عام ١٩١٨، ولَّيت ظهري العالم الذي عرفته طيلة حياتي ويمَّمت شطر أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عشت بين الأعراب في الصحراء، وقضيت هناك سبعة أعوام، أتقنت خلالها لغة البدو، وكنت أرتدي زيهم، وآكل من طعامهم، وأتخذ مظاهرهم في الحياة، وغدوت مثلهم أمتلك أغنامًا، وأنام كما ينامون في الخيام، وقد تعمقت في دراسة الإسلام، حتى إنني ألفت كتابًا عن محمد ﷺ عنوانه «الرسول» وكانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرُّحَّل من أمتع سني حياتي، وأحفلها بالسلام والاطمئنان والرضا بالحياة.

وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق، فهم بوصفهم مسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد يساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذًا سهلاً هينًا، فهم لايتعجلون أمرًا، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهمِّ قلقًا على أمر، إنهم مؤمنون أنَّ ماقدَّر يكون، وأنَّ الفرد منهم لن يصيبه إلاَّ ما كتب الله له، وليس معنى هذا أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة، مكتوفي الأيدي كلا»[١].

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة: ديل كارنيجي: (٢٩٠)، نقلاً من كتاب الإيمان والقدر للشيخ محمد إبراهيم الحمد: (٣٢،٣٣).

الباب التاسع
بقية أركان الإيمان

وتحته مباحث:

المبحث الأول: **الإيمان بالملائكة**

المبحث الثاني: **الإيمان بالكتب المنزلة**

المبحث الثالث: **الإيمان بالرسل**

المبحث الأول
وجوب الإيمان بالملائكة

الملائكة نوع من المخلوقات، خلقهم الله عزَّوجل، وأوكل إليهم القيام ببعض المهمات والوظائف، والإيمان بهم والتصديق بوجودهم جزء من عقيدة المؤمن، وهو ركن من أركان الإيمان لايصح إيمان العبد إلاَّ به، وقد خلقهم الله وجبلهم على الطاعة والعبادة وعدم المعصية يقول عزَّوجل: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾(١) ويقول سبحانه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾(٢) ويقول تعالى في شأنه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾(٣) وأهل السنة والجماعة يقررون وجوب الإيمان بهم وبوظائفهم حسبما جاءت به النصوص الصحيحة، وأنهم ليسوا بنات الله تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، كما زعم المشركون ذلك وأوضح الله كذبهم بقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾(٤)، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٩،٢٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦،٢٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على ذلك بالكتاب والسنة، ومن ذلك:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[1].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[3]

ثانيًا من السنة المطهرة:

حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وفيه أنَّ جبريل عليه السلام، حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان، أجابه بقوله: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[4].

المهمات التي أوكلت إلى الملائكة:

لقد أوضحت الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة أنَّ الله قد كلف الملائكة بالقيام ببعض المهام والوظائف، وأنهم يقومون بتلك الأعمال من غير تقصير أو تهاون، ووفقًا لأمر الله عزَّوجل،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٤) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

وهذه الوظائف كثيرة ومتنوعة ومنها مايلي:

١ـ التعظيم لله عزَّوجل بالتنزيه والتسبيح: وهذه الوظيفة الرئيسية للملائكة، ولذا قدمها الله في الذكر على الإيمان في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾(١) رغم أنَّ الإيمان أساس في قبول جميع الأعمال ولكن لاختصاص الملائكة بالتسبيح جرى تقديمه في الذكر للاختصاص، وهذا التسبيح يصدر عن الملائكة بصفة دائمة وبطريقة تلقائية، ومن غير ملل أو سآمة يقول عزَّوجل: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾(٢) ويقول سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾(٣).

٢ـ إبلاغ الأنبياء والرسل بالرسالات السماوية، فهم حملة الوحي الذي ينزله الله على من وقع عليه الاختيار من البشر ليكون نبيًا أو رسولاً وهذا من أعظم أنواع التكريم، لأنَّ أمانة إبلاغ الوحي من المهام العظيمة التي تتطلب قدرًا كبيرًا من الأمانة، ولذا وصف الله جبريل ـ عليه السلام ـ بالروح الأمين يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾(٤).

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٩

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٨

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢ـ ١٩٥.

٣ـ تدوين أعمال المكلفين: فقد وكَّل الله بكل إنسان اثنين من الملائكة أحدهما يسجل الحسنات والآخر يسجل السيئات قال عزَّوجل: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾(١)، وقد نقل ابن كثير ـ رحمه الله ـ خلاف العلماء في الكلام الذي تكتبه الملائكة وهل هو كل كلام يتلفظ به الإنسان كما هو قول الحسن وقتادة أم أنه الكلام الذي يترتب عليه ثواب أوعقاب كما هو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ثم رجَّح ما دلت عليه الآية من عموم الكلام(٢).

٤ـ قبض أرواح البشر: وذلك عند انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم حيث كتب الله الفناء والموت على جميع الخلق مهما كانت درجاتهم أو مراكزهم وجعل هذه المهمة لأحد الملائكة وهو ملك الموت يقول عزَّوجل: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٣) ويقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(٤).

٥ـ البحث عن مجالس الذكر وحف الجالسين فيها: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون**

---

(١) سورة ق، الآية: ١٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٢٤).

(٣) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[١].

بل إنَّ من الملائكة من يقومون بالبحث عن مجالس الذكر ومتابعتها فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء، يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم، حتى يملأوا مابينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال فيسألهم الله عزَّوجل ـ وهو أعلم بهم ـ من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب، قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: وممَّ يستجيرونني، قالوا: من نارك يارب قال: و هل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم، ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطَّاء، إنما مرَّ فجلس معهم قال: فيقول وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[٢].

---

(١) رواه مسلم ح: (٢٦٩٩).

(٢) رواه البخاري ح: (٦٤٠٨)، ومسلم ح: (٢٦٨٩).

٦ـ تهنئة المؤمنين بدخول الجنة: وذلك بدخول الملائكة على أهل الجنة من كل باب واستقبالهم وإلقاء السلام عليهم وتهنئتهم بهذا الفوز العظيم الذي نسأل الله الكريم أن يجعلنا من أهله يقول تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[2].

٧ـ القيام بتعذيب أهل النار: فهم خزنة جهنم والقائمون على تعذيب أهلها عياذًا بالله من ذلك وحتى يكون الألم شديدًا خلقهم الله في غاية الغلظة والشدة والقسوة يقول عزّوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[3] ويقول جل ذكره: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾[4].

وجملة القول أنَّ للملائكة وظائف كثيرة ليس من السهل الإحاطة بها ونكتفي بما ذكرنا منها وبما قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فإنهم موكلون بتخليق الإنسان ونقله من طور إلى طور وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٤) سورة المدثر، ا لآية: ٢٧، ٣١.

وأجله، وسعادته، وشقاوته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث وهم الموكلون بعمليات النعيم والعذاب وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والقائلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر، ويحذرونه عنه، فهم أولياؤه، وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله ، تعالى في منامه وعند موته، ويوم بعثه وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ويثبتونه إذا جزع وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته، فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم وتصعد إليه بالأمر[1].

أعداد الملائكة وحجم خلقتهم:

وردت الأدلة التي توضح بأنَّ عدد الملائكة من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلاَّ الله يقول عزَّوجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم: (٢/ ١٢٥).

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ [(١)].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت**»[(٢)] **ويجب الإيمان ببعض الملائكة على وجه التفصيل كجبريل وميكائيل، وإسرافيل ومالك خازن النيران، ورضوان خازن الجنان، ورقيب وعتيد.**

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم: (٤١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٨٥٣،ص٢٠٨).

المبحث الثاني
الإيمان بالكتب المنزلة

وجوب الإيمان بالكتب المنزلة

الكتب السماوية هي التي أنزلها الله على رسله وحيًا عن طريق جبريل ـ عليه السلام ـ متضمنة أوامر الله ونواهيه، وشرائعه وأحكام دينه، وهي كثيرة نزلت في أماكن متعددة وبلغات مختلفة، يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[١] وقد حوت هذه الكتب شرائع الأمم التي توافق أحوالهم وأزمنتهم يقول عزَّوجل: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾[٢] غير أنَّ جميع هذه الكتب جاءت لإثبات توحيدالله وعبادته وحده لاشريك له، يقول عزَّوجل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[٣]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**الأنبياء أخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[٤].

وأهل السنة والجماعة يقررون وجوب الإيمان بجميع الكتب السماوية التي أنزلت على الرسل، سواءً ما ذكر منها في القرآن أو لم يذكر وأنها كلام الله سبحانه وتعالى، باعتبار ذلك ركن من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلاَّ به، وقد استدلوا على ذلك بما يلي:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) رواه مسلم ح: (٢٣٦٥).

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[1].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[2].

٣ـ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾[3].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

حديث جبريل المشهور وفيه جواب الرسول ﷺ على جبريل عندما سأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١ـ٤.

(٤) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

القـرآن الكـريـم

هو كلام الله المنزل على رسوله ﷺ عن طريق جبريل - عليه السلام - والمدون بالمصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وقد تكفل الله بحفظه فلا تمتد له الأيدي بالتحريف أو التبديل؛ لأنَّ الله أراد له الخلود والبقاء باعتباره آخر الكتب الذي أنزل على آخر الرسل محمد ﷺ، قال عزَّوجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1] وقد حقق الله وعده بحفظ كتابه فها نحن اليوم وقد مضى على نزول القرآن أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمن وهو محروس من الزيادة والنقصان، رغم كيد الكائدين وحرص الشياطين على إطفاء نوره المبين، ولكن: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

والقرآن هو الكتاب السماوي الناسخ لجميع الكتب السماوية التي نزلت قبله يقول عزَّوجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3] ولذا لا يسع أي إنسان على وجه الأرض من بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى قيام الساعة إلاَّ أن يؤمن به ويعمل بشريعته، ولن يقبل الله دينًا غير الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ يقول عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار**»[4].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٤) رواه مسلم ح: (١٥٣).

وقد وصفه الله بأوصاف كثيرة منها:

١ـ أنه معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة يقول عزَّ وجل: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[١].

٢ـ أنه حق محض ليس للباطل إليه سبيل يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[٢].

٣ـ أنه مشتمل على الآيات البينات والدلائل القاطعات على جميع قضايا العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق، يقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[٣].

فتنة القول بخلق القرآن:

لعل من المناسب أن أشير باختصار إلى فتنة القول بخلق القرآن والتي عانت منها أمة الإسلام وعلماء أهل السنة والجماعة الشيء الكثير في أواخر عصر التابعين. وكان أول من أظهر هذه الفتنة الجهم بن صفوان، الذي قال بالعديد من الكفريات ومنها القول بخلق القرآن، وقد تلقى هذه المقالة الباطلة عن الجعد بن درهم[٤] الذي طارده خلفاء بني أمية بعد إظهاره لهذه المقولة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤١، ٤٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٤) الجعد بن درهم: من موالي بني مروان سكن دمشق، وكان يتردد على وهب =

الخبيثة، فهرب منهم وسكن في الكوفة، وهناك التقى بالجهم بن صفوان، وألقى عليه هذه الفكرة، ثم يسَّر الله هلاك الجعد بن درهم على يد خالد بن عبدالله القسري[١]، الذي قتله يوم عيدالأضحى بعد أن خطب الناس خطبة العيد ثم قال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكّلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر وذلك سنة ١١٤هـ»[٢].

وقد أخذ الجعد بن درهم هذه البدعة عن رجل يقال له بيان بن سمعان[٣] الذي تلقاها عن طالوت[٤] ابن أخت لبيد بن

= ابن منبه يسأله عن الصفات مشككاً ثم خرج على الناس ببدعة خلق القرآن، ونفي صفات الرحمن وأنكر أن يكون الله قد كلم موسى تكليماً، أو اتخذ إبراهيم خليلاً، وقد قبض عليه خالد القسري وقتله يوم العيد عام ١١٤هـ. الكامل لابن الأثير (٤/ ٢٥٥).

(١) خالد بن عبدالله القسري: أحد خطباء العرب وكرمائهم كان والياً لبني أمية في عدة بلدان، ضحى بالجعد بن درهم يوم الأضحى وكان يرمى بالزندقة والميل إلى دين النصارى لأن أمه نصرانية، سجنه يوسف بن عمر الثقفي ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد. شذرات الذهب (١/ ١٧٠).

(٢) انظر: الشريعة للآجري (٣٢٨).

(٣) بيان بن سمعان النهدي: من بني تميم ظهر بالعراق وقال بإلهية علي ثم من بعده ابنه محمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم بن محمد بن الحنفية كتب بهذا كتاباً إلى أبي جعفر الباقر يخبره بأنه نبي وقد قتله خالد القسري. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٣).

(٤) طالوت: زنديق ينادي بزندقته، أخذ عن خاله لبيد بن الأعصم القول بخلق التوراة ثم زعم أن القرآن مخلوق، وتلقى بيان بن سمعان عنه ذلك وعلمه =

الأعصم[(١)] اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ثم تقلَّد هذا المذهب بشر ابن غياث المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحمد بن أبي داؤد[(٢)]، وعندها أخذت هذه البدعة على أيديهما بعداً سياسياً حيث استطاعا إقناع الخليفة العباسي المأمون[(٣)] الذي كان قد تشبع بأفكار المعتزلة فتبنى هذا القول ـ أعني القول بخلق القرآن ـ وحمل الناس على القول به، وخاض معركة شرسة ضد أئمة السنة لإجبارهم على القول بخلق القرآن وتعرضوا للأذى الشديد والمحن القاسية من الحبس، والضرب، والقتل، بما لم يحدث له مثيل في تاريخ الأمة الإسلامية، وماكان هذا ليحدث لو أن علماء أهل السنة والجماعة كانوا هم السابقين إلى قلب الخليفة بإقناعه بالحق وحمله على الوقوف في وجه هذه البدعة المنكرة، ومحاربتها والقضاء على القائلين بها كما حصل للجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، ولكن ذكاء بشر المريسي وابن أبي دؤاد، وقيامهما باستمالة قلب الخليفة

= الجعد بن درهم الذي نقله إلى الجهم بن صفوان ثم إلى بشر المريسي. الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٩٤).

(١) لبيد بن الأعصم: اليهودي اللعين الذي سحر النبي ﷺ كان يقول بخلق التوارة، وقد ألقى هذا إلى ابن أخيه طالوت. الكامل (٥/ ٢٩٤).

(٢) أحمد بن أبي دؤاد: رأس المعتزلة وعدو إمام السنة أحمد بن حنبل وداعية القول بخلق القرآن له كرم وسخاء وأدب ومكارم لكنه أطفأ ذلك ببدعته وتأليبه على قتل الإمام أحمد، مات منكوباً في عهد المتوكل. سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٩).

(٣) الخليفة العباسي عبدالله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠هـ، وقرأ العلم والأدب والفلسفة وفتن الناس ببدعة خلق القرآن وكانت له محاسن في حكمه وسياسته. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨٢).

المأمون، واستغلال سلطته في نشر هذا المذهب الباطل، وحمل الناس عليه بالقوة، أدَّى إلى ما حدث من بلاء على الأمة وعلمائها، ولعل في هذه الحادثة ما يدعو إلى العظة والاعتبار من قبل العاملين للدعوة في هذا العصر، وفي كل زمان فيعملوا على مد جسور التواصل والتواصي مع ولاة الأمر والحكام، وإزالة الجفوة المفتعلة التي يفتعلها أعداء هذا الدين؛ لأن الداعية الإيجابي من يَقْدِر على جعل السلطان نصيراً له، لا ظهيراً عليه، واستثارة الحكام واكتساب عداوتهم أمر سلبي، جرَّ على الدعوات كثيراً من الويلات والمصائب كان بالإمكان تلافيها، لو أن الدعاة أحسنوا التعامل مع الحكام بعدم إثارتهم واستقطاب عداوتهم، وعملوا على التلطف معهم والدعاء والنصح والتوجيه لهم، لأن في معاونة الحاكم للدعاة حماية للدعوة وتحقيقًا لكثير من المصالح، ولعل أقرب مثال على صحة ذلك ما وفق إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1] رحمه الله من التعامل السديد مع الحاكم في زمنه وهو الإمام محمد بن سعود[2] الذي

---

(١) محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الإصلاحية في جزيرة العرب، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ، ورحل إلى الحجاز والعراق والشام في طلب العلم، وقد دعا إلى العودة إلى منهج السلف الصالح وتجريد التوحيد الخالص وترك البدع والخرافات. عرض دعوته على الأمير محمد بن سعود فقبلها، ونصره وآزره حتى مكَّن الله له في الأرض وارتفعت راية التوحيد، مات رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ، وله مؤلفات عديدة منها كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وغيرها. الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٧).

(٢) محمد بن سعود بن محمد بن مرخان: أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد، كان مقامه في الدرعية، وقد ولي الإمارة بعد أبيه وحسنت سيرته وقويت=

تدرج في هدايته وتلطف في دعوته، حتى كان في استجابته للدعوة من العون والتأييد والنصر والتمكين لهذا الدين ما سعدت به قلوب المؤمنين، وقرّت به أعين الموحدين، منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، فقد أثمرت دعوته ثمارها وأعادت للملة والعقيدة صفاءها وخلوصها، وأزالت عنها أوضار الشرك وضلالات البدعة والخرافة، وانتشرت هذه الدعوة الإصلاحية، حتى عمَّت جميع أرجاء الأرض خصوصاً بعد تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وقيامها باستقبال الآلاف من طلبة العلم من جميع الديار ثم تعلمهم للعقيدة الصحيحة وعودتهم إلى بلادهم وأوطانهم دعاة للحق وهداة إلى السنة.
أما الابتعاد عن الحاكم وترك المجال خالياً لأهل السوء للوصول إليه وكسب محبته فإن ذلك يولِّد الضغائن ويؤدي إلى سوء الظنون ويجر إلى المحن والمصائب مثل ما وقع من الخليفة المأمون»[١].

وعلماء أهل السنة والجماعة يقررون القول بأن القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وهذه بعض أقوالهم:

أولاً: ذكر من قال ذلك من الصحابة:

لما كانت مسألة القول بخلق القرآن من المسائل التي وقعت بعد انقراض الصحابة رضوان الله عليهم، فإن الآثار التي رويت

= شوكته، وقد وفد عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب عارضاً عليه مناصرته فتعاهدا على أن يكون حارساً للدين وناصراً للسنة، وأن يستمر ابن عبدالوهاب على الجهر بالدعوة. توفي بالدرعية عام١١٧٩هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ١٣٨).

(١) انظر المزيد من أخبار محنة القول بخلق القرآن في البداية والنهاية (١٠/ ٢٩، ٢٨٤) لابن كثير.

عنهم قليلة جدًّا وهذا القليل مشكوك في صحته من ذلك ما روى عن عمرو بن دينار[١] أنه قال: «أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر»[٢].

ثانياً ذكر إجماع التابعين :

١ـ عن سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: «أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود»[٣].

٢ـ وعن عبدالله بن المبارك قال: سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاماً يقولون: من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثاً بتة قلت ولم ذلك؟ قال: لأن امرأته مسلمة ومسلمة لا تكون تحت كافر قلت أنا ـ أي اللالكائي ـ فقد لقي عبدالله بن المبارك جماعة من التابعين مثل سليمان التيمي[٤] وحميد الطويل[٥] وغيرهما وليس

---

(١) عمرو بن دينار: الإمام الكبير الحافظ أبومحمد الجمحي أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه ولد سنة ٤٦هـ، وسمع من بعض الصحابة. قال عنه ابن عيينة: عمرو ثقة ثقة ثقة. وقال شعبة: ما رأيت في الحديث أثبت من عمرو ابن دينار. وقال عنه النسائي: عمرو ثقة ثبت. سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/٢٥٣ـ٢٥٩)، وتعليق المحقق.

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص(١١٧).

(٤) سليمان بن قته التيمي المقرىء: من فحول الشعراء عرض ختمة على ابن عباس وسمع من بعض الصحابة، وقد وثقه ابن معين، وقته هي أمه. سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٦).

(٥) حميد بن أبي حميد الطويل الإمام الحافظ أبوعبيدة البصري، ولد سنة ٦٨هـ، =

الاسم في وقته أكثر رحلة منه وأكثر طلباً للعلم وأجمعهم له وأجودهم معرفة به وأحسنهم سيرة وأرضاهم طريقه مثله ولعله يروي عن ألف شيخ من التابعين فأي إجماع أقوى من هذا»(١).

ثالثاً ذكر كلام بعض أئمة الفقهاء المشهورين :

١ـ الإمام أبوحنيفة، كان موقفه من هذه الفتنة هو موقف السلف من علماء أهل السنة والجماعة ولم يثبت بطريق صحيح أنه قال بغير ما قاله علماء أهل السنة وماذكره الإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة من نقولات لم تثبت. بل الثابت خلاف ذلك فقد ذكر البيهقي عن محمد بن أبي أيوب(٢) قال: سألت أبايوسف فقلت أكان أبوحنيفة يقول: القرآن مخلوق قال: معاذ الله ولا أنا أقوله فقلت: أكان يرى رأي جهم فقال: معاذ الله ولا أنا أقوله ثم قال رواته ثقات»(٣). أما هذا الاتهام الباطل فينفيه الإمام أحمد ابن حنبل فيما يرويه أبوبكر المروزي قال: سمعت أباعبدالله أحمد بن حنبل يقول: لم يصح عندنا أن أباحنيفة كان يقول القرآن مخلوق»(٤).

= كان قصير القامة طويل اليدين مات رحمه الله وهو يصلي سنة ١٤٣هـ. سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٣).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي برقم (٤٠٥).

(٢) لم أجده في مشايخ البيهقي، وإنما وجدت محمد بن أيوب بن ضُريس المحدث الثقة. ولد عام ٢٠٠هـ ومات سنة ٢٩٤هـ. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٩.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٥١).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٨٤).

٢ـ قول الإمام مالك بن أنس عن إسماعيل بن أبي أويس[١]، قال: «سمعت خالي مالك بن أنس وجماعة العلماء بالمدينة فذكروا القرآن فقالوا كلام الله وهو منه وليس من الله شيء مخلوق»[٢].

٣ـ قول الإمام الشافعي وعن الربيع بن سليمان[٣] قال: سمعت الشافعي يقول: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»[٤].

٤ـ قول الإمام أحمد بن حنبل روى عنه ابنه عبدالله قوله: «من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله»[٥].

ويروى عنه قوله وقد سئل عن القرآن فقال: «كلام الله عز وجل وليس بمخلوق»[٦].

وموقف الإمام أحمد بن حنبل من فتنة خلق القرآن موقف عظيم لا أجد كلاماً أفضل مما سطَّره شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) إسماعيل بن أبي أويس الإمام الحافظ الصدوق، قرأ القرآن على نافع وكان عالم أهل المدينة ومحدثهم، وثَّقه أحمد وضعفه غيره مات سنة ٢٢٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٠/٣٩١).

(٢) الشريعة للآجري ص(٧٩).

(٣) الربيع بن سليمان الأزدي سمع من ابن وهب ومن الشافعي، وروى عنه أبوداود والنسائي والطحاوي وآخرون، مات سنة ٢٥٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٢/٥٩١).

(٤) الشريعة للآجري (٨٢).

(٥) كتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد(١/١٠٢). تحقيق محمد سعيد القحطاني، برقم ١.

(٦) طبقات الحنابلة (١/١٨٩).

ـ رحمه الله ـ حيث يقول:

«إن الإمام أحمد صار مثلاً سائراً يضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق وأنه لم تكن تأخذه في الله لومة لائم، حتى صار اسم الإمام مقروناً باسمه في لسان كل أحد فيقال: الإمام أحمد وهذا مذهب الإمام أحمد لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] فإنه أعطي من الصبر واليقين ما يستحق به الإمامة في الدين وقد تداوله ثلاثة خلفاء مسلطون من شرق الأرض إلى غربها ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والأمراء والولاة من لا يحصيهم إلاَّ الله فبعضهم بالحبس، وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وغيره، وبالترغيب في الرياسة والمال ماشاء الله، وبالضرب، وبعضهم بالتشريد والنفي، وقد خذله في ذلك عامة أهل الأرض حتى أصحابه العلماء والصالحون والأبرار، وهو مع ذلك لم يعطهم كلمة واحدة مما طلبوه منه، وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة، ولا كتم العلم، ولا استعمل التقية، بل قد أظهر من سنة رسول الله ﷺ وآثاره، ودفع من البدع المخالفة، لذلك مالم يتأت مثله لعالم من نظرائه وإخوانه المتقدمين والمتأخرين»[2].

٥ـ أوضح الإمام الآجري أن القول بأن القرآن هو كلام الله المنزل غير مخلوق هو قول المسلمين الذين وفقوا للرشاد، فيقول: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٤٣٩).

عن الحق ووفقوا للرشاد قديماً وحديثاً أن القرآن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق لأن القرآن من علم الله تعالى وعلم الله عز وجل لا يكون مخلوقاً تعالى الله عز وجل عن ذلك. دل على ذلك القرآن والسنة وقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقول أئمة المسلمين رحمة الله تعالى عليهم لا ينكر هذا إلاَّ جهمي خبيث»[١].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على عقيدتهم بأن القرآن الكريم كلام الله المنزل غير مخلوق بأدلة كثيرة اكتفى بإيراد بعضها مما ذكره الإمام أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري[٢] في

---

(١) الشريعة للآجري (٧٥).

(٢) علي بن إسماعيل الأشعري: العلامة أبوالحسن علي بن إسماعيل من نسل الصحابي الجليل أبوموسى الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين وكان عجباً في الذكاء وقوة الفهم، نشأ في أكناف المعتزلة فقد تربى في حجر زوج أمه أبوعلى الجبائي شيخ المعتزلة في عصره، وتعلم عليه ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه وصعد للناس وتاب إلى الله تعالى منه ثم أخذ يرد على المعتزلة ويهتك عوارهم وقد أعلن توبته من مذهب المعتزلة على منبر البصرة، فقد صعد المنبر وقال: إني كنت أقول بخلق القرآن، وإن الله لا يرى بالأبصار وأن الشر فعلي ليس بقدر وإني تائب. وقد أبان ـ رحمه الله ـ عقيدته التي يدين الله بها في كتاب سماه الإبانة عن أصول الديانة قرر فيه أن مذهبه ومعتقده هو مذهب أهل السنة والجماعة يقول: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/ ٨٥ـ٨٩). والإبانة للأشعري ص(٨).

كتابه الإبانة حيث يقول:

«إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق قيل له. الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[1] وأمر الله هو كلامه وقوله فلما أمرهم بالقيام فقامتا لا تهويان كان قيامهما بأمره وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2] فالخلق جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عاماً فحقيقته أنه عامٌ ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ كان هذا في جميع الخلق ولما قال والأمر ذكر أمراً غير جميع الخلق فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق».

ثم قال ـ رحمه الله ـ: «ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[3] فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب مقولاً له كن فيكون، ولو كان الله عز وجل قائلاً للقول كن لكان للقول قولاً وهذا يوجب أحد أمرين:

١ـ إما أن يؤول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق.

٢ـ أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية وهو ما يسمى بالدور والتسلسل وذلك محال وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولاً غير مخلوق».

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٠.

كما استدل ـ رحمه الله ـ بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]. «فلو كانت البحار مداداً كتبت لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي، كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل، ومن فني كلامه، لحقته الآفات، وجرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا عز وجل، صح أنه لم يزل متكلماً، لأنه لو لم يكن متكلماً لوجب عليه السكوت والآفات تعالى ربنا عن قول الجهمية علواً كبيراً»[2].

وليس المراد هنا هو الاستقصاء والتوسع في إيراد الحجج الدامغة والبراهين الساطعة التي أطلقها علماء أهل السنة والجماعة لإبطال ضلالات ومقولات المبتدعة في هذه المسألة؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخروج عن موضوع هذا الكتاب، وإنما الهدف بيان موقف السلف من هذه البدعة الضالة.

حكم من قال بخلق القرآن:

لم يتردد علماء أهل السنة والجماعة في إطلاق الكفر على من زعم أنَّ القرآن مخلوق لكن على غير المعين كما سبق أن أوضحنا وقد ورد ذلك عنهم وهذا طرف من أقوالهم:

١ـ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ فعن يحيى بن خلف المقري[3] قال: «كنت عند مالك بن أنس سنة ثمان وستين ومائة، فأتاه

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٢) الإبانة لأبي الحسن الأشعري (٧٢) وما بعدها.

(٣) لم أجد له ترجمة.

رجلٌ فقال: ياأبا عبدالله ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال مالك بن أنس: أقتلوه كافر. فقال: ياأبا عبدالله إني لم أقله إنما قلت لك قال إنسان! قال مالك: إنما سمعته منك»[١].

٢ـ قال سفيان بن عيينة ـ وكان عنده مجموعة من العلماء ـ فتشوَّش الناس فقال ابن عيينة: ما هذا؟ قالوا: قدم بشر المريسي. قال: ما يقول؟ قالوا: يقول القرآن مخلوق. قال: جيئوني بشاهدين حتى آمر الوالي بضرب عنقه[٢].

٣ـ قال عبدالرحمن بن مهدي[٣]: «لوددت أن أقوم على رأس الجسر فلا يمر أحد إلاَّ سألته فإن قال القرآن مخلوق ضربت عنقه وألقيته في الماء»[٤].

ولكن جمهور العلماء على القول بتكفيرهم تكفيراً مطلقاً حيث أورد اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة أسماء أكثر من خمسمائة وخمسين شخصاً من علماء السلف كلهم قالوا بكفر من قال بخلق القرآن وقد اتفقوا على عبارة واحدة تقريباً وهي: من قال بخلق القرآن فهو كافر[٥].

---

(١) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٢٤٧).

(٢) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٥٠١).

(٣) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري أبوسعيد البصري، ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال وبالحديث قال عنه ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. مات سنة ٩٨هـ، وعمره ٧٣ سنة. تقريب التهذيب ٣٥١.

(٤) انظر الشريعة للآجري (٧٩).

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٣٠٠ـ٣٤٤).

ونظراً لخطورة إطلاق الكفر دون مراعاة للضوابط والقواعد الشرعية التي توضح نوعية الكفر وهل هو مخرج من الملة أم لا، ولأن الجزم بتكفير المعين وإخراجه من دائرة الإسلام فيه خطورة عظيمة، لما يترتب عليه من الآثار والأحكام الشرعية كتحريم زوجته عليه، وعدم حل ذبيحته، وعدم جواز تغسيله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، وعدم جواز الاستغفار له بعد موته، ولأنه قد ورد الوعيد الشديد لمن أطلق كلمة الكفر على مسلم، ففي الحديث المتفق عليه: «**من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما**»[1].

وبما أن مسألة التكفير من المسائل الخطيرة التي ينبغي التحرز فيها إذ ليس كل من قال العلماء بتكفيره يكون كافراً إلاَّ إذا وجدت الشروط في حق ذلك المعين وانتفت الموانع التي تمنع من استحقاقه لذلك الحكم.

والإنسان قد يقول الكفر أو يعمله باجتهادٍ منه يظنه حقًّا ويكون بذلك مخطئاً ولا يكفر لأن الحقيقة لم تتضح له. لذا يلزم الاحتراز والتوقي من إطلاق الكفر على المعين، إلاَّ بعد النظر والتروي والتحقق الكامل من توفر الشروط وانتفاء الموانع، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري رقم (٦١٠٣)، ومسلم رقم (٦٠).

المبحث الثالث

وجوب الإيمان بالرسل

حينما خلق الله الإنسان، أراد منه أن يؤدي دوره الذي خُلق من أجله، وهو العبادة يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(١) وحتى يكون قادرًا على ذلك فطره الله على العبادة وزوده بالعقل الذي يفرق به بين الخير والشر، والحق والباطل، ولكن ليس بإمكان الإنسان مهما كان ذكاؤه أن يتعرف على ما يرضي الله وما يسخطه، فاقتضت حكمته سبحانه أن يبعث الرسل إلى الناس لإقامة الحجة عليهم، يقول سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾(٢) ولذا بعث الله الرسل إلى جميع الأمم يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾(٣)، وهؤلاء الرسل وقع عليهم الاختيار من الله عزَّوجل واختصهم برسالته وارتضاهم لحمل الأمانة وأهّلهم لهذه المهمة، يقول عزَّوجل: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(٤)، وقد قاموا بها خير قيام فأدوا الأمانة ونصحوا الأمم، وبلغوا رسالات

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

ربهم، وأقاموا حجة الله عليهم، ولم يكتموا شيئًا مما أمروا أن يبلغوه، ولم يبدلوا شيئًا مما أرسلوا به.

وأهل السنة والجماعة يؤكدون على وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل دون تفريق بينهم، لأنَّ من يكفر برسول واحد منهم فهو كافر بجميع الرسل، يقول عزَّوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾[1].

وفي حديث جبريل حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال له: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٠ـ١٥٢.

(٢) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

عددالأنبياء والرسل

لقد أخبرنا الله في كتابه الكريم عن خمسة وعشرين نبيًا ذكر منها ثمانية عشر في قوله عزَّوجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[1]، أما السبعة الباقون فقد ذُكروا في آيات متفرقة من القرآن الكريم، وهم آدم وإدريس وهود وصالح وشعيب وذوالكفل، أما شيث ـ عليه السلام ـ فقد ذكر في السنة المطهرة، لكن هناك من الأنبياء من لم يقص الله علينا خبرهم ويجب علينا الإيمان بهم يقول عزَّوجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾[2] والرسل يتفاضلون فيما بينهم كماأخبر الله عزَّوجل في قوله: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾[3]، وأفضل الرسل هم أولوا العزم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقد جاء ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٣ـ٨٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾[١] وأفضل أولوا العزم محمد صلوات الله وسلامه عليه، ولا تحصل النبوة بالكسب ولكنها بالاختيار والاصطفاء من قبل الله عزَّوجل يقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[٢].

الفرق بين النبي والرسول:

شاع عند كثير من العلماء أنَّ النبي هو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فإن أمر بتبليغه فهو رسول فبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول[٣]، إلاَّأنَّ هذا التعريف لا يستقيم مع مادلت عليه الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[٤]، فإنها قد صرحت بأنَّ كلا منهما مرسل وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إلى تعريف أفضل وتفريق أكمل فقال: «والنبي هو الذي ينبؤه الله وهو ينبيء بما أنبأه الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول إلى أن قال ـ رحمه الله ـ فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليل على أنَّ النبي مرسل ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني: (١/ ٤٩).

(٤) سورة الحج، الآية: ٥٢.

يعرفون أنه حق»[١].

وإلى هذا المعنى أيضًا ذهب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء البيان، حيث يقول: «النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته وأنَّ النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحى إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة[٢]

---

(١) النبوات لابن تيمية: (٢٥٥).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي: (٥/ ٧٣٥).

دلائل النبوة

لقد أقام الله الحجة على الخلق بما بثه في أنفسهم وفي الآفاق حولهم من الآيات الدالة عليه وبما فطرهم عليه وغرز في طباعهم من ضرورة الإيمان به، وأيضًا بما منحهم من العقول القادرة على النظر والتأمل إلاَّ أنه سبحانه رحمة بعباده وقطعًا لحجة الناس اقتضت حكمته أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين يذكرون الناس ويستنقذون فطرهم من ركام الشهوات وطغيان النزوات.

وهؤلاء الرسل وهم يخبرون عن أنفسهم بأنهم رسل من عندالله ويطلبون من الناس اتباعهم بفعل ما أمر الله به وترك ماحرمه الله مما تدعو إليه الأنفس والأهواء والشهوات يحتاجون إلى أدلة وبراهين تبين للناس صدقهم ولذا أيَّدالله رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم يقول عزَّوجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾(١).

وهذه المعجزات هي التي تبين صدق النبي ويعرف بها كذب المدعي للنبوة.

ورسولنا ﷺ باعتباره خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فقد أمده الله بالعديد من الآيات والمعجزات والدلائل والبينات ما فاق بها جميع الأنبياء قبله، ومنها معجزة القرآن الكريم الذي أراد الله أن يكون رسالة مفتوحة موجهة إلى الأمم لا يحدها زمان ولا يحويها مكان، تراها الأجيال على مر العصور وتكرار الدهور، وقد أشار صلوات الله وسلامه عليه إلى اختلاف معجزته عن معجزات الأنبياء

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

المسموم، وانقياد الشجر له، وغيرها مما لايتسع المجال لحصره.

ومن دلائل النبوة أنَّ ماجاءوا به من الشرائع في غاية الكمال والإتقان والسلامة عن النقص والتناقض مما يعلم معه أنَّ هذه الشرائع لم تصدر إلاَّ عن الله ومن الدلائل تأييد الله للأنبياء ونصرهم، وإظهار أمرهم، بعكس ما يحصل للكذَّابين من مدعي النبوة، فإن الله فضحهم وأظهر كذبهم وأذهب ذكرهم فليس على ظهر الأرض اليوم من يشهد أنَّ مسيلمة الكذاب أو الأسود العنسي أو سجاح بنت الحارث أنَّ هؤلاء أنبياء وذلك لكذبهم وادعائهم.

عصمة الأنبياء

والمراد بها حفظ الله لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم من الوقوع في شيء من الذنوب والمعاصي أو الخطأ في تبليغ رسالات ربهم، وعلماء أهل السنة والجماعة مجمعون على عصمة الأنبياء فيما يخبرون عن الله تعالى وفي تبليغ رسالاته لأنَّ هذه العصمة هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة، فإنَّ من مقتضيات كونه رسولاً من عندالله أن يعصمه الله ولا يقره على خطأ فيما يبلغ عنه سبحانه، لكنهم اختلفوا في عصمتهم من الذنوب والمعاصي فقال بعضهم: بعصمتهم منها على الإطلاق، كبيرها وصغيرها، لأنَّ مقام النبوة أعظم من مقارفة شيء منها عمدًا، ولأنَّ الخلق قد أمروا بالتأسي بالأنبياء وهذا غير ممكن مع وقوع المعصية منهم، والأمر بالاقتداء بهم يقتضي أن تكون أفعالهم كلها طاعة، لكن جمهور أهل العلم قالوا: بجواز وقوع الصغائر منهم لكنهم لا يصرون عليها فيتوبون منها، فيكونون معصومين من الإصرار على المعاصي ويكون الاقتداء بهم في التوبة منه.

وهذا للجمع بن الأدلة التي وردت في هذا الشأن.

دعوة الأنبياء واحدة ودينهم الإسلام

المتأمل لكتاب الله عزَّوجل يجد أنَّ جميع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جاءوا يدعون إلى توحيد الله عزَّوجل وعبادته والخضوع لتعاليم دينه الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام يقول عزَّوجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] وأخبر سبحانه أنَّ جميع الأمم تمثل في حقيقتها أمة واحده فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[3] وأنَّ الدين الذي ارتضاه لهم هو الإسلام الذي لايقبل غيره فقال عزَّوجل: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[4] وقال عزَّوجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[5] كما أخبر عن جميع الأنبياء بأنهم يصرحون بأنَّ دينهم هو الإسلام فقال عزَّذكره عن نبيه نوح ـ عليه السلام ـ ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[6] وقال عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ مَا

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٦) سورة النمل، الآية: ٩١.

كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾(١) وقال عنه أيضًا: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢) وقال عن موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾(٣) وعن المسيح يقول عزَّوجل: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(٤) وعن ملكة سبأ يقول عزَّوجل: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٥).

وهكذا يتضح أنَّ دين الله هو الإسلام وأنَّ الله لم يبعث جميع الرسل إلاَّ بدين الإسلام ومانراه أو نسمعه من يهودية أو نصرانية ليست إلاَّ ضلالات أتى بها الشيطان ليفسد الناس بعد أن بيَّن الله لهم أنَّ دينه هو الإسلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾(٦) وقد يقول قائل كيف يكون دين الأنبياء والرسل هو الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ ونحن نعلم أنَّ أركان الإسلام خمسة، وأنَّ أولها شهادة أن لاإله إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله فكيف تشهد الأمم برسالة النبي ﷺ ولم يبعث بعد؟

والجواب أنَّ إسلام كل أمة يبدأ بشهادة أن لاإله إلاَّ الله وأنَّ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.
(٣) سورة يونس، الآية: ٨٤.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٥) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

النبي الذي أرسله الله إليهم هو رسول من عندالله، أما بقية أركان الإسلام فقدتضمنتها جميع الرسالات، فالصلاة والزكاة مثلاً يقول الله عزَّوجل فيها: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[2] وكذلك الصيام فرضه الله على جميع الأمم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[3].

أما الحج فقد أداه جميع الأنبياء وجاء إبراهيم ليطهر البيت الحرام وليعيد إليه قداسته وكان يحج إليه كل عام، وأقام إسماعيل حول بيت الله وأقام شعائر الله.

وهكذا يتضح ما كان عليه الإسلام من قبل بعث خاتم الأنبياء فقد كانت أركان دين الله في جميع الأمم بشهادة أن لاإله إلاَّ الله وأنَّ النبي المبعوث فيهم هو رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأداء ما كتب عليهم من صيام وحج، حتى ختم الله رسالاته للناس وأتم لهم الدين ببعثة محمد ﷺ ليكون رسولاً لأهل زمانه ولمن يأتي بعده إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

الباب العاشر
الإيمان باليوم الآخر

وفيه مباحث:

المبحث الأول: **وجوب الإيمان باليوم الآخر.**

المبحث الثاني: **عذاب القبر ونعيمه.**

المبحث الثالث: **مستقر الأرواح**

المبحث الرابع: **البعث بعد الموت.**

المبحث الخامس: **المقام المحمود**

المبحث السادس: **الشفاعة.**

المبحث السابع: **الحوض.**

المبحث الثامن: **الصراط**

المبحث التاسع: **الميزان.**

المبحث العاشر: **الجنة والنار**

المبحث الأول
وجوب الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ومبنى من مبانيه العظام ولا يتم إيمان المكلف إلاَّ بعد تحقيقه والإقرار به وبمقتضياته، وهو الاعتقاد الجازم الذي لايخالطه شك بجميع ما أخبر الله به في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ في سنته من قضايا الآخرة، بدءًا بالموت والساعة، ومايحدث من أحداث في يوم القيامة، حتى استقرار الناس، إما في نعيم في دار النعيم وهي الجنة جعلنا الله من أهلها، أو في دار العذاب وهي النار، أجارنا الله منها.

وأهل السنة والجماعة يقررون ذلك في كتبهم ويؤكدون عليه باعتباره أمرًا هامًا في حياة المسلم، وقد استدلوا على ذلك بالكتاب والسنة فمن ذلك:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[1].

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾[١].

٣ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾[٢].

ثانيًا من السنة المطهرة:

حديث جبريل الذي جاء إلى النبي ﷺ وسأله ليعلم الصحابة أمر دينهم وقد سأله عن الإيمان فقال ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣.

(٣) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

المبحث الثاني
عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير

القبر أول منزل من منازل الآخرة. فبعد موت الإنسان وانقطاع حياته ينتقل إلى الآخرة عن طريق أول منازلها وهو القبر. ليبدأ الجزاء على الأعمال فمن كان محسناً كافأه الله على إحسانه بالنعيم في القبر بتحويله إلى روضة من رياض الجنة. ومن كان مسيئاً والعياذ بالله عاقبه الله في قبره بتحويله إلى حفرة من حفر النار. ثم يستمر النعيم أو العذاب في القبر إلى أن تقوم الساعة ويُبعث الناس من قبورهم للحساب ثم إلى الجنة أو إلى النار.

والإيمان بعذاب القبر ونعيمه هو معتقد أهل السنة والجماعة المقرر في أصولهم. وهذه بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل[1].

٢ ـ وقال محمد بن حسين الآجري: بعدأن سرد الأحاديث والآثار التي تدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه: ما أسوأ حال من كذَّب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً[2].

٣ ـ وصنف ابن رجب الحنبلي رحمه الله كتاباً بعنوان أهوال القبور

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٦٢.

(٢) الشريعة للآجري ٣٦٤.

تحدث فيه في الباب السادس عن عذاب القبر ونعيمه فقال: وقد دلَّ القرآن على عذاب القبر في مواضع كثيرة ثم ساق بعض الآيات الكريمة وأقوال المفسرين حولها. كما ذكر كثيراً من الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه[١].

أدلة أهل السنة والجماعة:

استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من إثبات عذاب القبر ونعيمه بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

أولًا: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[٢] وقد فسرها النبي ﷺ بأنها نزلت في عذاب القبر فعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. نزلت في عذاب القبر**»[٣].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[٤] قال قتادة: يقال لهم: ياآل فرعون هذه منازلكم توبيخاً وصغاراً ونقيصة. وقال ابن سيرين[٥]: كان

---

(١) أهوال القبور لابن رجب ٣٩ ـ ٨١.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) رواه البخاري ١٣٦٩ ومسلم ح٢٨٧١.

(٤) غافر: ٤٦.

(٥) أبوبكر محمد بن سيرين أبوه مولى أنس بن مالك اشتراه أنس ثم كاتبه قال عنه=

أبوهريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول عرجت الملائكة وهبطت الملائكة وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد إلاَّ تعوَّذ بالله من النار(١).

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾(٢) قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعَّد الله به هؤلاء الظلمة دون يوم الصعقة فقال بعضهم هو عذاب القبر، ونقل هذا عن البراء بن عازب وابن عباس رضي الله عنهما(٣).

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى أصحابه إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد ﷺ ـ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله ﷺ فيقال له. انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال: فيراهما جميعاً، وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، فيضرب

= ابن سعد: كان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً وهو من التابعين ولد سنة ٣٣، وتوفي ١١٠ بالبصرة روى عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت وغيرهما) انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٢٦٧ والأعلام للزركلي ٦/ ١٥٤.

(١) ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٢٩١.

(٢) الطور: ٤٧.

(٣) جامع البيان للطبري ٢٧/ ٣٦.

بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين[١].

قال ابن حجر عند شرح هذا الحديث وغيره: وفي أحاديث الباب من الفوائد إثبات عذاب القبر وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين[٢].

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر قال: نعم عذاب القبر حق، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد ذلك صلى صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر[٣].

٣ ـ حديث أبوهريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[٤].

ووجه الاستدلال بالأحاديث على إثبات عذاب القبر ونعيمه ظاهر ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه البخاري ح١٣٧٤ ومسلم ح٢٨٧٠.
(٢) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٨٣.
(٣) رواه البخاري ح١٣٧٢.
(٤) رواه البخاري ح١٣٧٧ ومسلم ح٥٨٨.

المبحث الثالث
مستقر الأرواح

اختلفت أقوال العلماء في مستقر الأرواح وذلك باختلاف تفاوت درجات تلك الأرواح وقسموها إلى ثلاثة أقسام.

الأول: أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فهذه بلا خلاف عند ربها في أعلى عليين. والدليل ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر فلما نُزِلَ به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ثم أفاق فأشخص ببصره إلى السقف ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى. قلت: إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به. قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي ﷺ قوله: اللهم الرفيق الأعلى**»[١].

الثاني: أرواح الشهداء الذين صرحت الأدلة بأن أرواحهم في أجواف طيور خضر معلقة بالعرش منها ما ثبت في صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩﴾[٢] قال: «**أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال**[٣] **أرواحهم في جوف طير خضر لها**

---

(١) رواه البخاري ح/ ٦٩٠٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٣) قال النووي وهذا الحديث مرفوع لقوله إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي ﷺ/ شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/ ٣٤ ح رقم ١٨٨٧.

قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(١).

الثالث: أرواح المكلفين من المؤمنين وغيرهم وهؤلاء تباينت أقوال العلماء حولهم وأرجح الأقوال فيها أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد رحمه الله فقد روى ابنه عبدالله قوله: أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة(٢).

وهو ما يرجحه ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: «وأرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار تنعم أرواح المؤمنين وتعذب أرواح الكافرين إلى أن تعاد إلى الأبدان»(٣).

أما الفرق بين حياة الشهداء البرزخية في الجنة وحياة من عداهم من المؤمنين فقد أشار إليه ابن رجب بقوله: «والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد وهي الطير التي

---

(١) رواه مسلم ح١٨٨٧.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ١٨١.

(٣) الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٣١١.

تكون في حواصلها. ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد فإن الشهداء بذلوا أجسادهم في سبيل الله فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

الثاني: أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت له في حقه مثل ذلك، فإنه جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة وروى يعلقون بفتح اللام وضمها فقيل إنهما بمعنى واحد وأن المراد الأكل من الشجر قال ابن عبدالبر وقيل رواية الضم معناها الأكل ورواية الفتح معناها التعلق ذكره ابن الجوزي وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم في الأكل والله أعلم»[١].

(١) أهوال القبور لابن رجب الحنبلي ١٢٥.

شـــبهة وردّهـــا

يورد بعض الناس شبهة على وقوع عذاب القبر ونعيمه فيما إذا لم يدفن الميت في قبر كمن تعرض للغرق أوالحريق أو أكلته السباع، وقد أجاب علماء أهل السنة والجماعة على هذه الشبهة وأبطلوها يقول شارح الطحاوية ـ رحمه الله :

«وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً. وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا».

إلى أن قال رحمه الله: «واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يُحمَّل كلامه ما لا يحتمله ولا يُقصَّر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله بل سوء الفهم عن الله

ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام. وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول ولاسيما أن أضيف إليه سوء القصد والله المستعان»[١].

(١) شرح الطحاوية ٢/٥٧٨ _ ٥٨٠.

المبحث الرابع
البعث بعد الموت

البعث بعد الموت حقيقة دلَّت عليه الفطر السليمة وصرحت به جميع الكتب السماوية وأخبر به جميع الأنبياء والرسل. والإيمان به أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان العبد إلا بتحقيقها.

وإلى هذا ذهب أئمة وعلماء أهل السنة والجماعة حيث يقررون أهمية الإيمان بالبعث بعد الموت لما له من تأثير عظيم في استقامة الإنسان وحمله على العمل الصالح والابتعاد عن المعاصي والظلم والعدوان والبغي والفساد. وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل: «والصور حق ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام فيموت الخلق ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون لرب العالمين عزوجل للحساب والقصاص والثواب والعقاب، والجنة والنار، ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين ويتولى حسابهم بنفسه لا يولي ذلك غيره عزوجل»[١].

٢ ـ وقال ابن عبدالبر: «وفي هذا الحديث من الفقه أن من شرط الشهادة التي بها يخرج من الكفر إلى الإيمان مع الإقرار بألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. الإقرار بالبعث بعد الموت. وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة. وفي ذلك ما يغني ويكفي مع ما في القرآن من تأكيد

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٧.

الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك»[١].

٣ ـ وقال شارح الطحاوية: «الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه وردَّ على منكريه في غالب سور القرآن وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة. فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين[٢] وكان هو الحاشر المقفي[٣] بيَّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء»[٤].

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٩/١١٦.

(٢) يشير إلى ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه البخاري ح٦٥٠٤ ومسلم ح٢٩٥١.

(٣) ثبت في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» رواه البخاري ح٤٨٩٦ ومسلم ح٢٣٥٤.

(٤) شرح الطحاوية ٢/٥٨٩.

أدلة البعث بعد الموت

الإيمان بالبعث من الإيمان بالغيبيات الذي هو أول ما ينبغي أن يصدِّق به المؤمن وهو الصفة البارزة من صفات المؤمنين المتقين. يقول عزوجل: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾(١) ولا سبيل إلى معرفة البعث إلا عن طريق النص الموحى به من الكتاب الكريم أو السنة المطهرة.

أولاً: من القرآن الكريم:

لقد عنى القرآن الكريم بقضية البعث عناية فائقة وجاءت الأدلة الكثيرة وتعددت الأساليب المتنوعة لتقرير هذه العقيدة لما لثباتها في قلب المؤمن من أثر فعال في استقامة خطوه على درب الحياة. وسأكتفي بذكر بعض تلك الأساليب. وهي:

الأول: الاستدلال على وقوع البعث والنشأة الأخرى بما نشاهده يومياً من الخلق والإحياء الدال على قدرة الله وبالتالي القدرة على إعادة خلقهم، وقد جاء هذا كثيراً في القرآن الكريم، يقول عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾(١).

فالقادر على هذا الخلق المشاهد والمعلوم قادر على إعادته مرة أخرى.

ويقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾(٢).

ويقول عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾(٣).

الثاني: تأكيده وقوع البعث بالأمر للنبي ﷺ بأن يقسم بأنه كائن لا محالة وذلك في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾(٤). وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾(٥). وقوله تعالى: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾(٦).

الثالث: عرض مشاهد لما سيكون من حوار في الآخرة بين

(١) سورة الحج، الآية: ٥ ـ ٧.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٦ ـ ٦٧.
(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.
(٤) سورة التغابن، الآية: ٧.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٦) سورة يونس، الآية: ٥٣.

أهل الإيمان المصدقين بالبعث وهم في الجنة يتنعمون وبين أهل الكفر والتكذيب بالبعث وهم في النار يعذبون وبيان أن كفرهم وتكذيبهم بالبعث بعد الموت أدَّى بهم إلى هذا المصير السيء: يقول عزوجل: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[1].

ويقول عزوجل: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[2].

الرابع: أن مقتضى العدل الذي قامت عليه السموات والأرض أن يبعث الله العباد ليجزيهم على أعمالهم. لأن سوق الحياة ينفض دون أن يتحقق العدل الكامل والإنصاف الشامل في تصرفات الناس فالله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يحبه الله وقد انقسم الناس إلى فريقين فريق استقام على أمر الله وبذل نفسه وماله ومات ولم يجد ثواباً على ذلك وفريق رفض أمر الله وطغى وبغى وملأ الأرض فساداً ومات دون أن يجد عقوبة على فساده فهل يمكن أن يكون مصير الفريقين واحداً إن العقل يجزم بالبعث ويستبعد أن

---

(١) سورة الصافات ٥٠، الآية ـ ٦١.

(٢) سورة الأعراف: ٥٠، الآية ـ ٥١.

يستوي هؤلاء وهؤلاء. يقول عزوجل: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾(١) ويقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٢) ويقول عزوجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾(٣).

ثانياً: الأدلة من السنة:

أما أدلة البعث من السنة المطهرة فكثيرة جداً منها:

١ ـ حديث عمر بن الخطاب والمشهور بحديث جبريل وفيه قول النبي ﷺ فأخبرني عن الإيمان قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**(٤).

٢ ـ قوله ﷺ: **«يبعث كل عبد على ما مات عليه»**(٥).

٣ ـ قوله ﷺ: **«إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بالعرش فما أدري أكان فيمن صعق»**(٦) ووجه الدلالة في هذه الأحاديث على إثبات وقوع البعث بعد الموت واضح ولله الحمد والمنة.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢١ ـ ٢٢.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه مسلم ح٢٨٧٨.

(٦) رواه البخاري ح٦٥١٨ ومسلم ح٢٣٧٣.

المبحث الخامس
المقـــام المحمـــود

المقام المحمود من الفضائل العظيمة التي وُعد بها نبينا محمد ﷺ يوم القيامة وورد بيانها في السنة المطهرة وقررها علماء أهل السنة والجماعة.

وقد اختلف العلماء في تعيين المقام المحمود الذي وعد الله به نبيه يوم البعث على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الجمهور وغالب أهل العلم أن المقام المحمود هو الشفاعة كما صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة فقد روى البخاري في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون يافلان أشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[١].

كما روى أيضاً في الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[٢] قال ابن حجر: وقال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام

---

(١) رواه البخاري ح٤٧١٨.

(٢) رواه البخاري ح٦١٤.

المحمود الشفاعة[١].

وقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ وسئل عنها قال: «**هي الشفاعة**»[٢].

وعن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت أنا وأمتي على تل فيكسوني حلة خضراء ثم يأذن لي تبارك وتعالى أن أقول ما شاء الله أن أقول وذلك المقام المحمود**»[٣].

القول الثاني: أن المقام المحمود هو إعطاؤه صلوات الله وسلامه عليه لواء الحمد يوم القيامة، وقد جمع الشوكاني بين هذا القول والقول الأول فقال: ويمكن أن يقال إن هذا لا ينافي القول الأول إذ لا منافاة بين كونه قائماً مقام الشفاعة وبيده لواء الحمد[٤].

القول الثالث: أن المقام المحمود هو أن يجلس الرسول ﷺ

---

(١) فتح الباري ٢/ ١١٣.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن كتاب التفسير باب ١٨ ٥/ ٣٠٣ وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٣٦٩، ٢٣٧٠ ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢/ ٣٥٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٥٦ وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٣٥٠ وقال عنه الألباني: إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات، ولطرفه الأخير شاهد من حديث جابر مرفوعاً ـ يعني به حديث البخاري رقم ٦١٤.
كما أخرجه الحاكم ٤/ ٥٧٠ وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٤) فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٥٢.

مع الله سبحانه وتعالى على كرسيه. وقد نقل الطبري ذلك في التفسير عن عبدالله بن سلام ولكن في إسناده مجهول وهو سيف السدوسي[١].

كما نقل الطبري في تفسيره ذلك عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ قال يجلسه معه على عرشه[٢].

وقد دعم هذا القول الخلال في كتابه السنة ونقله عن عدد كبير من علماء عصره حتى اتهموا من لم يقل به بالكفر والتجهم والزندقة والعياذ بالله[٣].

وبتأمل تلك الأقوال والأدلة التي اعتمد عليها القائلون بها ونظراً إلى أن منهج أهل السنة والجماعة يعتمد في الاستدلال في أمور العقيدة وغيرها على تقديم الكتاب الكريم ثم السنة المطهرة ثم كلام الصحابة رضوان الله عليهم. فإنه يتضح ما يلي:

أولًا: أن القول الأول قد اعتمد على قول الرسول ﷺ في تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة يوم القيامة كما هو واضح من الأدلة الصحيحة التي أوضحناها كما اعتمد على القول الصريح

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٤٨ وقد قال الألباني عن سيف السدوسي بأنه لم يجده ولكنه وجد في طبقته سيف السعدي وهو في عداد المجهولين فلعله هو؛ لأن من المحتمل أن السدوسي تحرف على الناسخ من السعدي/ ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ٢/ ٣٥١.

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٥.

(٣) انظر: السنة للخلال تحقيق الدكتور عطية الزهراني ٢٠٩ ـ ٢٦٩.

للصحابي الجليل عبدالله بن عمر والذي لا يمكن أن يقول به إلا وقد سمعه من رسول الله ﷺ لأن هذه المسألة من الغيبيات التي لا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً: أن الآثار التي وردت عن مجاهد رحمه الله قد تعارضت فقد روى الطبري في تفسيره عن مجاهد أنه قال: المقام المحمود هو مقام الشفاعة يوم القيامة، وذلك من طريقين: الأول عن ابن أبي نجيح، والثاني عن ابن جريج[(١)].

ورواية مجاهد إن صحت تعارض بالنصوص الصحيحة الصريحة عن رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة ومعارضة بروايته هو كما أسلفنا ولذا أخذ العلماء على مجاهد هذا القول وعدوه من الأقوال المهجورة.

وقد قال ابن عبدالبر: «ليس من العلماء أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ»، ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن له قولين في تأويل آيتين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما أحدهما هذا ـ أي القول بأن معنى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ تنظر الثواب والآخرة، وقوله في قول الله عزوجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة)[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٤.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٧/ ١٥٧.

فإن الراجح هو القول الأول ونعوذ بالله من الجهمية والزنادقة وبدعهم كما نعوذ به تعالى من أن ننفي فضيلة ثابتة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بل في إثبات القول بأن المقام المحمود هو الشفاعة أعظم فضيلة يحوز عليها بشر فقد تأخر عنها حتى أولو العزم من الرسل ولم يتقدم لها إلا سيد البشر وخاتم النبيين فأي فضيلة أعظم من هذا. والله أعلم.

المبحث السادس
الشفاعة

الشفاعة لغة: هي الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى[١].

واصطلاحاً: سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام[٢].

وأهل السنة والجماعة، يذهبون إلى إثبات الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين حسبما وردت به الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع نفي الشفاعة التي نفتها الأدلة من الكتاب والسنة.

وتتم الشفاعة ابتداءً حينما يشتد الكرب على الناس في عرصات القيامة ويطول انتظار الخلائق في ذلك الموقف العظيم. فيبحث الناس عمن له منزلة عالية عند الله عزوجل كي يشفع لهم عنده سبحانه في تخليصهم مما هم فيه من الأهوال والكربات. ثم تقع أنواع الشفاعة الأخرى فيما بعد على التفصيل الذي سنذكره إن شاء الله.

وعلماء أهل السنة والجماعة كما أسلفت يثبتون الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد عن الشفاعة: «وأن الله يخرج أقواماً من النار

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٢٦٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٤٥٨.

بشفاعة محمد ﷺ»[١].

٢ ـ عقد ابن خزيمة باباً مطولاً في كتابه التوحيد بعنوان: «باب ذكر أبواب شفاعة النبي ﷺ التي قد خُصَّ بها دون الأنبياء سواه صلوات الله عليه وسلامه لأمته وشفاعة النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وشفاعة بعض أمته لبعض أمته ممن أوبقتهم خطاياهم وذنوبهم فأدخلوا النار ليخرجوا منها بعد ما قد عذبوا فيها بقدر ذنوبهم وخطاياهم التي لا يغفر الله لهم ولم يتجاوز لهم عنها بفضله وجوده بالله نتعوذ من النار. ثم ساق الأحاديث والآثار التي تثبت الشفاعة للنبي ﷺ»[٢].

٣ ـ عقد الإمام الآجري باباً بعنوان وجوب الإيمان بالشفاعة قال فيه: «اعلموا رحمكم الله أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها، وهذا مذهب المعتزلة يكذبون بها وبأشياء سنذكرها إن شاء الله مما لها أصل في كتاب الله عزوجل وسنن رسول الله ﷺ وسنن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان وقول فقهاء المسلمين. والمعتزلة يخالفون هذا كله لا يلتفتون إلى سنن الرسول ﷺ ولا إلى سنن الصحابة رضي الله عنهم وإنما يعارضون بمتشابه القرآن وبما أراهم العقل عندهم. وليس هذا طريق المسلمين وإنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحق ولعب به الشيطان وقد حذرنا الله عزوجل ممن هذه صفته وحذرنا هم النبي ﷺ وحذرناهم أئمة المسلمين قديماً

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٤.

(٢) التوحيد لابن خزيمة ٢٤١.

وحديثاً»[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الشافعين بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة كعادتهم في إثبات جميع عقائدهم:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾[٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾[٣].

٣ ـ قوله عزوجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[٤]، وغير ذلك من الآيات الدالة على ثبوت الشفاعة بعد الإذن من الله عزوجل وفي حالة الرضا عن المشفوع.

ثانياً: من السنة المطهرة:

أما أدلة السنة المطهرة فكثيرة جداً منها:

١ ـ حديث أبوهريرة الطويل، قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد يبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون**

---

(١) الشريعة للآجري ٣٣١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٣) سورة طه: الآية: ١٠٩.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

ولا يحتملون فيقول بعض الناس ألا ترون ما أنتم فيه ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم. فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم ثم ذكر أنهم يأتون آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام وكلهم يقول: اذهبوا إلى غيري فيأتوني ويقولون: يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يارب أمتي يارب أمتي يارب. . . الحديث»[١].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»[٢].

٣ ـ حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[٣].

---

(١) رواه البخاري ٤٧١٢ ومسلم ح١٩٤.

(٢) رواه مسلم ح١٩٦.

(٣) رواه البخاري ح٦٣٠٥، ومسلم ح١٩٩.

شرط وقوع الشفاعة :

الشفاعة التي وردت النصوص الشرعية بإثباتها وردت مقيدة بشرطين أساسيين لا تتحقق الشفاعة إلا بوجودهما وهما:

الأول: الإذن من الله للشافع كي يشفع لأن الشفاعة ملك لله وحده ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾[(١)] وليس للشافع حق في طلبها إلا بعد الإذن من المالك لها وهو الله.

الثاني: الرضى عن المشفوع فيه بأن يكون أهلاً للشفاعة لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة قال عزوجل: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[(٢)]

وقد جاء هذان الشرطان في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهو الشرط الأول ﴿وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[(٣)] وهو الشرط الثاني.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[(٤)] والمعنى أن الشفاعة إنما ينتفع بها من أذن له الرحمن وكان له قول يرضي.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

(٣) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.

أنـواع الشـفاعـة

لقد تحدث علماء أهل السنة والجماعة وبسطوا القول في أنواع الشفاعة وقسموها إلى قسمين:

الأول: ما اختص به ﷺ وهي:

١ ـ الشفاعة العظمى في الخلائق كلهم ليخلصوا من هول الموقف وليقضى بينهم حين يقف الناس خاضعين أمام خالقهم ويطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم إلى الله في تخليصهم من كربات هذا اليوم العظيم وينتهي السؤال إليه ﷺ فيقول: أنا لها. وقد سبق بيان دليل هذا النوع(١).

٢ ـ شفاعته ﷺ لأهل الجنة ليدخلوها بعد الفراغ من حسابهم ودليل هذا النوع حديث أنس بن مالك الذي رواه مسلم(٢) والذي سبق ذكره.

٣ ـ شفاعته صلوات الله وسلامه عليه لتخفيف العذاب عن عمه أبي طالب لما كان يقوم به من حمايته والدفاع عنه ودليل هذا النوع إجابته صلوات الله وسلامه عليه حينما سئل عن عمه أبي طالب وقيل له: هل نفعت أباطالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: نعم هو في ضحضاح(٣) من نار ولولا أنا

---

(١) رواه البخاري ح٤٧١٢ ومسلم ح١٩٤.

(٢) رواه مسلم ح١٩٦.

(٣) الضحضاح: الماء القليل على وجه الأرض والذي لا يبلغ الكعبين/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٧٥.

لكان في الدرك الأسفل من النار[١].

٤ - الشفاعة لقوم استحقوا دخول النار ألا يدخلوها ودليلها كما يقول ابن حجر في الفتح[٢] حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه والذي فيه: فيمر أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وأمي اي شيء كمر البرق قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار[٣].

٥ - شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ودليل هذا النوع قول ابن عباس: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ»[٤].

---

(١) رواه البخاري ح٦٥٦٤ رواه مسلم ح٢٠٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١١/٤٣٦.

(٣) رواه مسلم ح١٩٥.

(٤) رواه الطبراني في الكبير ح١١٤٥٤ وفي سنده موسى بن عبدالرحمن الصنعاني قال الذهبي في الميزان معروف ليس بثقة فإن ابن حبان قال فيه دجال. وقال ابن عدي منكر الحديث وعد هذا الخبر من منكراته. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٣٧٨ بعد أن نسبه إلى الطبراني في الكبير والأوسط وفيه موسى بن عبدالرحمن الصنعاني وهو وضاع.

٦ ـ الشفاعة في رفع درجات بعض المؤمنين من أهل الجنة يدل عليها حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ دخل على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه[1].

٧ ـ الشفاعة في دخول بعض المؤمنين إلى الجنة بغير حساب ولا عذاب كدعائه لعكاشة بن محصن[2] في أن يكون من ضمن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**عرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير قلت: ياجبريل هؤلاء أمتي قال: لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت: ولم قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**

---

(١) رواه مسلم ح٩٢٠.

(٢) أحد السابقين الأولين البدريين كان من أجمل الرجال، انكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ عرجوناً من نخل فعاد سيفاً في يده قاتل به، وشهد به المشاهد، بعثه خالد بن الوليد مع ثابت بن أقرم طليعة له فظفر بهما طليحة بن خويلد الأسدي فقتلهما سنة ١٢ للهجرة في خلافة أبي بكر أثناء حروب الردة/ سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٠٧.

فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: اللهم اجعله منهم ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: سبقك بها عكاشة»[١].

النوع الثاني: الشفاعة المشتركة التي يشاركه صلوات الله وسلامه عليه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون وهو نوع واحد فقط. وهي الشفاعة في أهل الكبائر ممن دخل النار ودليل هذا النوع حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة**»[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا به في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته[٣].

---

(١) رواه البخاري ح٦٥٤١ ومسلم ح٢٢٠.

(٢) رواه مسلم ح١٩١.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢/ ١٧٩ وانظر فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٣٣ وكتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٤١ ولوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢١١ وشرح الطحاوية ١/ ٢٨٢.

المبحث السابع
الحوض

الحوض في اللغة مجتمع الماء والجمع أحواض وحياض. ولما ظهر لأم إسماعيل ماء زمزم جعلت تحوّضه أي تجعل له حوضاً يجتمع فيه الماء[١].

وشرعاً: ما أثبته الكتاب والسنة وإجماع السلف من وجود حوض يجمع الماء النازل من نهر الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ.

والإيمان بالحوض مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته عرضه مثل طوله مسيرة شهر آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه[٢].

٢ ـ نقل الآجري أن أنس بن مالك رضي الله عنه دخل على جماعة وهم يتذاكرون الحوض فلما رأوني طلعت عليهم قالوا قد جاءكم أنس فقالوا: ياأنس ما تقول في الحوض فقلت: والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكون في الحوض لقد تركت عجائز بالمدينة ما تصلِّ واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها

(١) لسان العرب لابن منظور ٧/ ١٤١ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٤٦١.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٢.

عزوجل أن يوردها حوض محمد ﷺ قال محمد بن الحسين ـ أي الآجري ـ ألا ترون إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يتعجب ممن يشك في الحوض إذ كان عنده أن الحوض مما يؤمن به الخاصة والعامة حتى العجائز يسألن الله عزوجل أن يسقيهن من حوضه ﷺ فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض ويكذب به وفيما ذكرناه من التصديق بالحوض الذي أعطاه الله عزوجل نبينا محمد ﷺ كفاية عن الإكثار[١].

٣ ـ وقال ابن عبدالبر: الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ. إلى أن قال رحمه الله: والآثار في الحوض أكثر من أن تحصى وأصح ما ينقل ويروى[٢].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض بالكتاب والسنة كما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[٣] روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت: ما أضحكك

(١) الشريعة للآجري ٣٥٧.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٢/ ٢٩١.

(٣) سورة الكوثر، الآية: ١.

يارسول الله؟ فقال: «**أنزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ**: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ **ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي خيراً كثيراً هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[1].

وهذه الآية الكريمة تثبت أمرين هما:

الأول: الكوثر وهو نهر من أنهار الجنة وُعِد به رسول الله ﷺ وخصَّ به دون غيره.

الثاني: إثبات الحوض وهو مجمع مصب ماء نهر الكوثر في عرصات القيامة. يرد عليه من تمسك بسنته صلوات الله وسلامه عليه ليشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

ثانياً: من السنة المطهرة:

أما إثبات حوض النبي ﷺ من السنة فقد دلَّت عليه أحاديث كثيرة تبلغ في مجموعها مبلغ التواتر رواها عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، يقول ابن حجر رحمه الله في الفتح نقلاً عن القرطبي في المفهم: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة

---

(١) رواه مسلم ح٤٠٠.

نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف[١].

ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١ ـ **حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»**[٢].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**»[٣].

٣ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٤].

ووجه الاستدلال في هذه الأحاديث واضح في إثبات أن للنبي ﷺ حوضاً يوم القيامة نسأل الله أن نكون ممن يرد عليه ويشرب منه بمنه وكرمه.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٤٧٥/١١.

(٢) رواه البخاري ح٦٥٨٣ ومسلم ح٢٢٩٠.

(٣) رواه البخاري ح٦٥٨٠ ومسلم ح٢٣٠٣.

(٤) رواه البخاري ح٦٥٨٢ ومسلم ح٢٣٠٤.

المبحث الثامن
الصـــراط

الصراط في اللغة: الطريق الواضح[١].

وفي الشرع: جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة وأرض المحشر عليه يمر الناس على قدر أعمالهم[٢].

والإيمان بالصراط هو مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة وهذا طرف من بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموسى فتقول الملائكة يارب من يمر على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي فيقولون: ياربنا ما عبدناك حق عبادتك[٣].

٢ ـ وقال الإمام أحمد بن حنبل: والصراط حق يوضع على شفير جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك نسأل الله عزوجل السلامة في الجواز[٤].

٣ ـ وقال الإمام ابن بطة العكبري: ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذٍ سلم سلم والصراط كما جاء في الحديث

(١) لسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٤٠ ومختار الصحاح للرازي ١٥١.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٩.

(٣) ذكره اللالكائي انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم ٢٢٢١.

(٤) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/ ٢٧.

إنه أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعرة[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالصراط:

أولاً: بالإشارة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾[٢].

ثانياً: من السنة فقد وردت عدة أحاديث تضمنت ذكر الصراط وصفاته وصفة المرور عليه. منها:

١ ـ حديث حذيفة بن اليمان الطويل، وفيه: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم ترو إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب[٣] معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكدوس في النار**»[٤].

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص٢٢١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧١ـ٧٢.

(٣) كلاليب جمع كلوب وهو حديدة معوجة الرأس/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ١٩٥.

(٤) رواه مسلم ح١٩٥.

٢ ـ حديث أبي هريرة وفيه، قوله ﷺ: «ويضرب الجسر بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان[١] هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلَّا الله عزوجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم: المخردل ثم ينجو.. إلخ الحديث»[٢].

٣ ـ حديث أبوسعيد الخدري الطويل وفيه أن النبي ﷺ قال: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم. قيل يارسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة[٣] فيه خطاطيف وكلاليب وحسك[٤] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب[٥] فناجٍ مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس على وجهه في النار»[٦].

---

(١) السعدان: نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٦٧.

(٢) رواه البخاري ح٦٥٧٣ ومسلم ح١٨٢.

(٣) الدحض الزَّلَقَ/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/١٠٤.

(٤) الحسك جمع حسكة وهو شوكة صلبة معروفة/ المصدر السابق ١/٣٨٦.

(٥) الركاب الرواحل من الإبل/ المصدر السابق ٢/٢٥٦.

(٦) رواه مسلم ح١٨٣.

المبحث التاسع
الميــزان

الميزان في اللغة: اسم للآلة التي توزن بها الأشياء والوزن هو معرفة قدر الشيء[١].

وفي الشرع: هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به السيئات والحسنات[٢].

ووزن الأعمال يوم القيامة مما وردت به النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة المطهرة

وهو عقيدة أهل السنة والجماعة حيث يثبتون أن الله ينصب الميزان يوم القيامة لوزن حسنات وسيئات العباد إظهاراً للعدل وهذه بعض أقوالهم.

١ ـ قال الإمام أحمد: والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء أن توزن[٣].

٢ ـ عقد الآجري باباً في كتابه الشريعة بعنوان الإيمان بالميزان وأنه حق يوزن به الحسنات والسيئات ثم ساق عدداً كبيراً من الأحاديث والآثار التي تثبت الإيمان بالميزان[٤].

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٥٢٢.
(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٤.
(٣) طبقات الحنابلة ١/ ٢٧.
(٤) الشريعة للآجري ٣٨٢.

٣ ـ قال ابن بطة العكبري: وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك واجب لازم[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الميزان بما يلي:

أولاً: من الكتاب الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٢].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[٣].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[٤].

ووجه الاستدلال في هذه الآيات الكريمة ظاهر في إثبات الإيمان بالميزان كما قرر ذلك علماء التفسير[٥].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في**

---

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة العكبري ٢٢٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨، ٩.

(٤) سورة القارعة، الآية: ٦ ـ ٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٢٢ و١٧/ ٣٣.